شهرية تصدر عن الجمعية الوطنية الحجازية

العدد (٦٦) ١٥/٤/٢٠٠٨



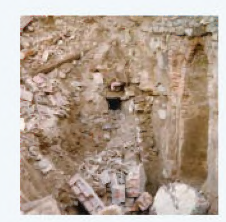
هذا الحجاز تأمّلوا صفحاته سِفرُ الوجودِ ومعهدُ الآثارِ

(الديك الصيني) مهندس الحروب في الرياض: (يصدق) وهو كذوب

وشاح الحرب القادمة!

نقد الملوك

الوهابية تحرق (موحّديها) بالتكفير



سيرة المصطفى وتخليد آثاره



بريدة تحتضن السفير الأميركي



آبار مكة التاريخية

من الطائف الى الفتنة الطائفية



المعارضة السعودية

فشل الإصلاح، وخيارات الإنفصال



لصوص الرياض

مجتمع يزداد فقراً في بلد يزداد غنى!

هذا العدد

دولة التكفير

إستوقفني تحذير عضو هيئة كبار العلماء، واللجنة الدائمة للإفتاء في السعودية الدكتور سعد بن ناصر الشثري، من تحول القضايا الفكرية إلى (شقاق وتفرقة ونزاع، وتوسّع دائرة التكفير إلى استحلال الدم الحرام). الشثري أنحى، في حوار له مع صحيفة (الحياة) اللندنية، في ٢٢ مارس الماضي، باللائمة على الكتّاب والفقهاء مسؤولية (المحاولات السيّئة التي تقصد تفريق المجتمع وإيجاد العدواة بين أبنائه). كما لفتني تقويمه النقدي لبرامج الإفتاء الفضائية، كونها تعرّضه لإشكالات من قبل المتّصلين الذين (قد يكون لهم أغراض ومآرب إما بالدعاية لشركة أو القدح في أشخاص أو دول بأساليب خفية).

كلام يعتبر تطوّراً لافتاً، خصوصاً حين يصدر عن شخص ينتمي لمؤسسة دينية محفوفة بالإنطباعات السلبية نتيجة الفتاوى التكفيرية الصادرة عن بعض أعضائها منذ نشأتها وحتى الوقت الراهن، ومازالت الفتاوى مثبّتة في سجلات الهيئة، ولم يصدر ما يفيد تخلي أصحابها عنها.

فقد دمغت المؤسسة الدينية بنزوعها التكفيري الذي بات، بحسب الباحثين في التاريخ السعودي، جزءً جوهرياً من مشروع الدولة، وأحد أهم أدوات تعزيز السلطة. فقد خاض الجيش العقائدي لابن سعود في الربع الأول من القرن العشرين حروباً دموية في مناطق الجزيرة العربية على قاعدة أن سكّانها كفّار، الأمر الذي أملى عليهم واجباً دينياً بغزوها وإدخالها في الدين عنوة (للتذكير فحسب: بقيت المناطق التي خضعت تحت الدولة السعودية بالقوة العسكرية محتفظة بعقائدها الدينية غير السلفية ـ الوهابية).

تنفرد الوهابية السعودية بكونها أول من تبنّت تكفير المجتمعات، وبالغت الشروحات الواردة على كتاب (التوحيد) للشيخ محمد بن عبد الوهاب في تصوير الحال الدينية في العالم على أنها جاهلية عمياء، تستثنى منها حال نجد، التي مازال بعض كبار السن في العائلة المالكة والعلماء يرون بأن لا دين خارجها، فقد عمّ الكفر بلاد المسلمين، حسب زعمهم.

ومن نافلة القول، أن فتوى التكفير تنطوي على حكم بالقتل، غير المنجز، على أساس أن العلماء ليسوا في مرحلة (التمكين) التي تسمح لهم بتنفيذ الحدود. مثل هذه الأحكام تسمح لمن رأوا أنهم قد بلغوا مرحلة التمكين، على غرار أصحاب مشاريع (الإمارة الإسلامية)، في تطبيق الحدود بما في ذلك القتل والرجم.

بدأت نزعة التكفير، في انزلاقاتها الخطيرة، باستعمال مفرط لفتاوى التكفير ضد كل من ليس على المذهب الوهابي، مذهباً كان أم جماعة أم دولة، ثم انتقل التكفير إلى مرحلة ثانية بحيث يشمل الأفراد الذين يحملون رأياً مخالفاً أو اجتهاداً خاصاً من خارج المذهب السلفي، فصدرت فتاوى التكفير ضد كتّاب ومثقفين وشعراء وأدباء ونقّاد، بتهمة تبني عقائد ضلال، أو التجديف.

المرحلة الأخطر في نزعة التكفير أنها باتت مشاعة بين كل مِن يرى في نفسه مصداقاً للحاكم الشرعي، ما يفسح في المجال لتوزع السلطة الدينية على عدد غير محدود من الأفراد، الأمر الذي جعل النزاع داخل دائرة هذه السلطة مفتوحاً، ويستقطب المزيد من العلماء. وقد تكون إنتفاضة العلماء ضد أولئك الذين يحاولون إختراق المقدّس، أي العلم الشرعي، كمجال محتكر لعلماء المذهب الوهابي، أشد عنفاً لأنها تمثل تهديداً مباشراً لرمزيتهم الدينية وسلطتهم الروحية.

وهنا تتشكّل الخطوط المتصارعة، حيث يجد (العامة) مرتعاً خصباً لتحقيق مآرب تخلو، في الغالب، من المقصد النزيه، والغاية النبيلة. ليس جهراً بالسوء القول بأن كثيراً من الأحكام التكفيرية صدرت بوحي من أسئلة ملغومة، فقد برع بعض السائلين في استدراج الفقهاء الى مواطن شبهة حكمية، عن طريق إثارة الغرائز، وتفجير الحميّات الدينية، ما يدفع بهم إلى تبني الحكم المدسوس في الأسئلة (الشرعية!). فكم من أفراد وجماعات أصابها الضرّ من وراء فتاوى التكفير الصادرة عن علماء لا يعرفون عنها سوى ما ورد في أسئلة من أفرغوا تشخيصاتهم القاصرة، والمستندة أحياناً على الهوى والعصبية والجهل.

هؤلاء (الأشباح) الذين يصفهم خالد الغنامي في مقالته في صحيفة (الوطن) في ٢٤ مارس الماضي، (هم البطالون الركاضون في اجترار الفتن)، حسب قوله، ومن يعقدون اجتماعاتهم في (غرف مغلقة يجمعون قصاصات المقالات القديمة بحيث أصبح عندهم لكل كاتب معروف أو كاتبة معروفة ملف خاص يحوي كتاباته بهدف محاكمة أفكاره.. فإذا استسلموا لهذه الحقيقة المرّة عادوا للبحث عن الغاية التي جمعتهم، ألا وهي البحث عن (مكفّر) للكاتب).

لا تضع الحرب أوزارها لدى هؤلاء حتى ينتزعوا حكماً بتكفير هذا الكاتب وذاك الشاعر، وحينذاك يمتليء من سهر الليالي دفاعاً عن حياض العقيدة بحثاً عمّن أساء إليها، بنشوة النصر المؤزر، الذي لا تضرّ معه سيئة!.

مهما يكن، فإن المسؤولية ليست مقتصرة على هؤلاء الأشباح، لما ينطوي ذلك على تبرير لأخطاء الفقهاء الذين أمروا بأن يحكموا على أساس العلم اليقيني وليس العلم الظني، أو ترجيح ثقة الإيمان على ثقة العلم في قبول الشهادة، حتى بات بعض الفقهاء يصدرون أحكامهم على قاعدة (نقل لي ممن أثق به). ولو رجعنا الى أحكام التكفير الصادرة ضد كتّاب أو مثقفين أو شعراء لوجدناها مستندة على نقولات موجّهة.

قضية تكفير الكاتبين عبد الله بن بجاد ويوسف أبا الخيل من قبل الشيخ عبد الرحمن البراك، وتأييد الحكم من قبل مجموعة من العلماء، ليست نشئاً جديداً، فقد سبقت ذلك تكفير كتّاب آخرين، ولكن الجديد في هذه القضية أن الكاتبين إجتهدا داخل ما يراه علماء المدرسة الوهابية المجال السيادي للدين. وربما كان حكم التكفير ضدهما مدفوعاً برغبة نبذ المنافسين على سلطة تفسير النصوص الدينية. توصّل الكاتبان في اجتهادهما إلى نتائج مخالفة لما درج عليه علماء المذهب، وكان ذلك سبباً كافياً لتكفيرهما. وبالنسبة للزامل، خصوصاً، فإن لم يتب عما فعل (وجب قتله مرتداً)، بحسب الشيخ البراك.

حاول الكاتب محمد الهرفي في مقالته (كفر وتكفير... أين حرية التعبير؟!) في (الوطن) في ٢٥ مارس التخفيف من وطأة النص التكفيري، حين فتح كوّة فيه، نافياً أن يكون البراك قد كفر الرجلين، واعتبر ذلك من باب حرية التعبير!. ولكن هذا التبرير مخيف، خصوصاً حين يتحوّل التكفير مجرد وجهة نظر، فيما نعلم بالبداهة أن حرية التعبير هي عامة، والتكفير قضية خاصة، بل ومناقضة لها.

خلاصة الأمر، أن (التكفير) بات سمة الدولة السعودية ومؤسستها الدينية، حتى أصبح كل حديث عن التكفير كأحد أبرز تمظهرات الفتنة، إمتيازاً وهابياً محض.

قمة دمشق

الرياض تشعل (ثورة الأرز) إقليمياً!

محمد شمس

متلازمات لا تخلو من دلالة: الأولى، صدور قرار السعودية بشأن حجم التمثيل في قمة دمشق فور نهاية زيارة نائب رئيس الأميركي ديك تشيني للرياض، الذي طالب المسؤولين السعوديين بالتفكير ملياً قبل المشاركة في القمة العربية، وبعد أيام من طلب أميركي للقادة العرب بالتريّث قبل إعلان مواقفها من المشاركة في قمة دمشق، في إشارة الى انتظار وصول تشيني للمنطقة.

الثانية، إعلان مندوب أو سفير السعودية في الجامعة العربية أحمد القطّان بأنه سيرأس وفد بلاده في قمة دمشق، في نفس اليوم الذي يؤكد فيه بيان مجلس الوزراء السعودي على وحدة العالم العربي. وكانت وكالة الأنباء السعودية الرسمية ذكرت في ٢٤ مارس أن مجلس الوزراء السعودي أكّد في جلسته الأسبوعية على (دور المملكة الداعم والمناصر دوماً لكل ما من شأنه تكريس وحدة العالم العربي، والذود عن قضايا الأمة الإسلامية). وأكّد المجلس أيضاً على (التمسك بما هو مشترك، وتغليب المصلحة الوطنية على التحالفات الخارجية، واستثمار العلاقات الدولية بما يخدم الوطن والأمة).

الثالثة: أن يتزامن إعلان الرياض عن موقفها من المشاركة في قمة دمشق مع تصريحات مصرية وأردنية ولبنانية حول أحجام التمثيل.

بدت، إذن، واضحة وعلنية خلفية قرار السعودية بمشاركة أقل من رمزية في قمة دمشق، فالخلاف السعودي السوري حول لبنان بات مكشوفاً، ويمارس فيه الطرف السعودي أقصى درجات عدم الإنضباط في التعبير عنه، وإن تطلب الإفصاح عنه إطلاق حملة دعائية تطيح مهنية الصحافة وحياديتها، أو تستدعي حملة دبلوماسية لا تخلو من تواطؤ وخرق للحد الأدنى من الإحترام وتجاوز على الإعتبارات القومية والدينية، أو حتى تستوجب المشاركة في مخطط يصل إلى حد التفكير بإسقاط النظام في سوريا. ومع ذلك، تبقى السعودية متمسّكة بالوحدة العربية، والتضامن العربي، والأخوة العربية وباقي الكليشات المعورية!.

الخلافات السورية السعودية، رغم قدمها، تعود الى اغتيال رئيس الوزراء اللبناني الأسبق رفيق الحريري في ١٢ فبراير ٢٠٠٥، إذ تم توجيه الإتهام إلى سوريا بضلوعها في العملية، فيما تنفي دمشق التهمة، ثم جاءت التطوّرات اللاحقة لتزيد في الخلاف بين الرياض ودمشق، منها تصريحات نائب الرئيس السوري فاروق الشرع في أغسطس الماضي، بعد تغيّب السعودية عن اجتماع الدول المجاورة للعراق، حين انتقد غياب السعودية ولو على مستوى موظف السفارة. وقد أشعل تصريح الشرع حماسة المؤسسات الإعلامية السعودية لبدء حملة انتقادات ضد المسؤولين السوريين، وبرعت تلك المؤسسات في الهجوم على القيادة السورية، إلى حد اتهام الشرع وحكومته بالمراهنة على إيران، وأنهم لا يجهلون بديهيات القضايا، فيما شنّ بيان سعودي بلهجة عنيفة على الشرع كرد فعل على وصفه الدور السعودي الإقليمي بالمشلول، وقالوا بأن حديثه (لا يصدر عن إنسان عاقل..)، ومضى البيان في تصعيده بالقول (ولعل السيد الشرع زلّ لسانه وكان يقصد بالشلل السياسة التي ينطلق باسمها ويمثلها).

> **السوريون يحيلون قمة دمشق مهرجاناً فلسطينياً رداً على مبادرة السلام السعودية ومقررات أنابوليس وإفشال مخططات التأزيم**

وبلغت العلاقة بين الرياض ودمشق أسوأ فتراتها في اغسطس ٢٠٠٦، بعد وقف الأعمال العدائية الإسرائيلية على لبنان، حيث وصف الرئيس السوري بشار الأسد بعض القادة العرب (في إشارة الى السعودية بدرجة أساسية) بأنهم (أشباه رجال)، لأنهم أطلقوا نعت (مغامرة) على عملية أسر جنديين إسرائيليين من قبل حزب الله.

وتمظهر التدهور في العلاقات السورية السعودية في الإستياء السعودي من عدم تجاوب سوريا للمبادرة العربية بحسب تفسير عرب الإعتدال، بقيادة الولايات المتحدة. وحقيقة الأمر، أن الخلاف لم يعد مقتصراً على الملف اللبناني، بل ينفتح على أفق الواقع العربي برمته والذي يراد قلبه رأساً على عقب ليكون مؤهّلاً لتبدلات سياسية كبرى في المنطقة، تتخذ من لبنان مدخلاً لها وتستوعب مجمل القضايا ذات الطبيعة الخلافية بين تياري الإعتدال والممانعة في الشرق الأوسط. بالنسبة للسوريين، فإن الضغوطات التي تعرّضوا لها من الحلفاء والخصوم زادت في تصلّبهم حيال الموضوع اللبناني، لاقتناعهم بأن ثمة (تبييتات) بالغة الخطورة تشمل إستقرار النظام السوري نفسه، ويتذكّر الأخير المخطط الإنقلابي في التسعينيات، حين قررت السعودية بالتعاون مع الكيان الإسرائيلي من أجل إطاحة نظام حافظ الأسد، عبر اختراق مؤسسة الجيش السوري الذي شاركت بعض قطاعاته في الدفاع عن السعودية في حرب الخليج الثانية. ولكن الأميركيين أوقفوا تنفيذ المخطط خشية تداعيات فشله على المنطقة، ونصحوا السعوديين بعدم السير في المخطط.

على أية حال، فإن تخفيض التمثيل السعودي في قمة دمشق يتلطى خلف الملف اللبناني، للتنصّل من واجباتها العربية والإسلامية، وأبرزها القضية الفلسطينية التي دخلت مرحلة بالغة الخطورة إثر الإعلان عن الدولة اليهودية في مؤتمر أنابوليس في نهاية نوفمبر الماضي، والحديث بعدها عن مشاريع التوطين التي تشارك السعودية فيها كأحد كبار المموّلين، وكذلك الحصار المفروض على غزة وارتكاب إسرائيل مجازر دموية في ظل صمت عربي مريب، وأزمات أخرى قد تشهدها المنطقة على وقع التوترات السياسية بين الولايات المتحدة وإيران وسوريا، والتي تضع السعودية في أتونها ما يجعل وجودها في القمة نافراً لأنها ستضطر إلى مسايرة الموقف العربي الممانع.

الحضور السعودي في دمشق لم يكن مقدّراً له أن يحقق تميّزاً حتى بمشاركة الملك عبد الله، لأنه لا مواقف متميّزة يتوقع صدورها منه، فالسلوك السعودي طيلة العامين الماضيين كان مناقضاً لمسار الممانعة المتصاعد، فقد تحوّلت السعودية الى قطب أساسي في المشروع الأميركي ـ الإسرائيلي، يخبر عنه صمتها حيال الدماء البريئة التي كانت تسفك في شوارع غزّة.

لا تريد السعودية حضور قمة لم تعد تجد فيها

دوراً يـنـاسـبـهـا، ولا مـكـانـة تحقق فيها وجودها المتخيّل، فما هو مطلوب منها ليس في قمة دمشق، ولا في أي قمة عربية أخرى مقبلة ما لم يتم تبديل الواقع العربي برمته، أو أن ينتصر الخيار الأميركي ـ الإسرائيلي في المنطقة.

من وجهة نظر أخرى، فإن تخفيض السعودية لأدنى تمثيل لها في تاريخ القمم العربية لا يعكس مجرد إستياء من سوريا، بل يحمل في طياته نذر شؤم على لبنان والمنطقة بصورة عامة، وهو أشبه بانفصال عن الواقع العربي وتالياً التخلي عن أية التزامات في مرحلة قادمة، وقد يبشّر المنطقة بأزمات خطرة، بل إن أية تدهور أمني في لبنان أو أية بقعة أخرى في المنطقة سيكون للسعودية دور رئيسي فيه.

كل المبررات التي ساقتها السعودية وردّدها أمين عام الجامعة العربية عمرو موسى حول موضوع حجم تمثيل الدول الأعضاء في القمة العربية وإدراجة ضمن عنوان (السيادة)، لا يعدو كونه تبهيتاً لأصل المشكلة، ولم نسمع تصريحاً من الدول العربية التي عناها الكلام الأميركي بالتريّث قبل إعلان المشاركة في قمة دمشق ينتقد التدخّل الأميركي في سيادة الدول، ولم نسمع أيضاً تصريحاً لعمرو موسى الذي بلغته مراراً تصريحات لرؤساء وقادة عرب مثل حسني مبارك والملك عبد الله السعودي والملك عبد الله الأردني ووزراؤهم وهم يتحدثون بالنيابة عن لبنان، ويشترطون مشاركتهم في القمة ونجاحها بانتخاب رئيس للبنان، وهو أمر سيادي.

الأنكى من ذلك كله، أن السعودية، وحلفاءها في معسكر الإعتدال، قرروا منذ البداية إفشال قمة دمشق عبر التبشير بالغياب عنها، بل وتشجيع دول عربية أخرى على اقتفاء ذات الموقف، بالرغم أن حضور قادة العرب بأجمعهم لن يعني على الإطلاق توفير ضمانة نجاح، ولم يكن الحال على هذا النحو في أغلب القمم السابقة.

ولكن، فإن غياب الملك عبد الله أو وزير خارجيته الأمير سعود الفيصل عن قمة دمشق يعني لكثيرين إفراغاً لمضمون العمل العربي المشترك، وتأسيساً لمرحلة يكون فيها السير الإنفرادي قانوناً حاكماً، كما يبطن قطيعة بخلفية عدائية لما تنطوي عليه المرحلة المقبلة من مخاطر مواجهات أمنية في أكثر من بلد، إذ لا يمكن توقّع أن تشهد لبنان، على سبيل المثال، تسوية من أي نوع طالما أصدرت السعودية قرارها النهائي حيال قمة دمشق، وبالتالي فإن مصير مبادرة رئيس مجلس النواب اللبناني نبيه بري والمتوقع تسييلها بعد القمة سيكون معروفاً سلفاً، لأن التصلّب السعودي سيعكس نفسه على الفور في مواقف حلفائها في لبنان.

ولذلك، فمن المتوقع أن تمضي السعودية بوتيرة عالية في خيارات التصعيد السياسي مع سوريا، وقد يشمل إيران بما يتطلبه من تصنيع غيوم طائفية سوداء تغطي سماء المنطقة، وإبعاد تأثيرات القضية الفلسطينية على الخلافات المقبلة، حيث ستكون السعودية أحد كبار الخاسرين في تثميرها، بحكم إملاءات أنابوليس الملزمة لها ولبقية المعتدلين.

مصر التي تعتبر نفسها على الدوام راعية القمم العربية، والحاضنة الأم للجامعة العربية وجدت نفسها أمام خيارين أحلاهما مر: إما المشاركة في القمة على مستوى رئيس الجمهورية، وبالتالي إغضاب حلفائها الأميركيين والسعوديين، أو إقتفاء الطريق السعودي واعتماد مندوبها في الجامعة ممثلاً عنها. ولكن يبدو أن خياراً ثالثاً كان صالحاً، بايفاد شخصية رفيعة المستوى، فيما أبقت الأردن الباب موارباً أمام حجم المشاركة وكذلك فعلت البحرين.

بالنسبة لدمشق التي أدركت أن خصومها عمدوا الى استغلال القمة للضغط عليها من أجل إملاء شروطهم، فإنها قررت إسقاط هذه الورقة وأوصلت رسالة واضحة وعلنية: القمة بمن حضر، وأن القمة العربية ليست شأناً سورياً منفرداً. وبذلك، أوصدت الباب أمام السعودية وغيرها بخصوص استغلال ورقة القمة من أجل إرغام السوريين على القبول بالمبادرة العربية حول لبنان بحسب التفسير السعودي المصري.

حكومة فؤاد السنيورة انتظرت صدور قرار السعودية بشان حجم مشاركتها في قمة دمشق، وعقدت في ٢٥ مارس إجتماعاً وزارياً لتقرير الموقف بشأن المشاركة في قمة دمشق، والذي جاء متطابقاً مع التعليمات السعودية، ولم يكن متوقعاً حدوث اختراق في موقف حكومة السنيورة طالما أن الأخير بقي حتى اللحظة الأخيرة من جلسة مجلس الوزراء اللبناني على اتصال بوزير الخارجية السعودية سعود الفيصل.

السعودية تقود الإنقسام العربي عبر البوابة اللبنانية، وتبشّر بأزمات متلاحقة، إيذاناً بتعطيل العمل العربي المشترك

ردود فعل الغياب السعودي على الساحة اللبنانية كانت متفاوتة، بين تطمين من قيادات المعارضة بأن لا توترات أمنية ستقع على خلفية زيادة منسوب التوتر بين دمشق والرياض، وبين تبشير بانفلات أمني واسع النطاق، فيما تحدّث البعض عن عودة مسلسل الإغتيالات في لبنان، وبين توقّع توتّرات أمنية محدودة تأتي في سياق التجاذبات المتبادلة الخارجية على الساحة اللبنانية.

مصادر صحافية مقرّبة من فريق الموالاة في لبنان، ربطت بين قرار السعودية تخفيض تمثيلها الى مستوى مندوب في قمة دمشق، وتسريب أنباء عن حشود عسكرية سورية على الحدود مع لبنان وحشود منظمات فلسطينية محسوبة على سوريا في منطقة قوسايا البقاعية، بالتزامن مع تحذير إسرائيلي نشرته صحيفة (يديعوت إحرونوت) في ٢٤ مارس بأن حزب الله وإيران سيقصفان تل أبيب ومنطقتها بالصواريخ في حال نشوب حرب مع إسرائيل. هذا التحذير الوارد في سياق (تقرير سري) وضعته مديرية إقتصاد الطوارىء الإسرائيلية أتى استكمالاً لأجواء التوتير الذي بدأ قبل أسابيع من قمة دمشق، حيث يتداخل التحرّك السعودي بالأميركي والإسرائيلي في عملية التجاذب التي يخوضها معسكر الإعتدال ضد قوى الممانعة في المنطقة. وإذ يتم تصوير النتائج الكارثية على الدولة العبرية من جراء حرب إفتراضية تقودها سوريا وإيران وحزب الله، فإن المتوقع استقطاب حشد دولي وتأييد من عرب الإعتدال في مواجهة القوى المعادية الممثلة في كل الممانعين.

القيادة السورية توقعت في مرحلة مبكرة غياب قيادات عربية عن قمة دمشق، وقد أعدّت نفسها لما سيعلن عنه الجانب السعودي، وقررت إحباط الذريعة السعودية بقولها (ليس من شأن سوريا تعيين رئيس للبنان)، وأن لبنان سيكون، شأن قضايا أخرى ساخنة في المنطقة العربية، مدرجاً على قائمة الموضوعات المراد تداولها في القمة.

أكثر من ذلك، قررت الحكومة السورية تهميش المندوب السعودي للقمة، بل اعتبرت حضوره كغيابه، من حيث البروتوكول الرسمي في تسليم رئاسة القمة، أو حتى في إلقاء الكلمات في الجلسة الإفتتاحية، بل وتغييبه حتى عن اجتماعات الرؤوساء والملوك العرب.

وكان متوقعاً تأخير أولوية الملف اللبناني في مناقشات القادة العرب في قمة دمشق، إذ أن الأطراف المعنية والنافذة غائبة، فيما تم تصعيد أولوية القضية الفلسطينية التي تجد فيها دمشق مناسبة لمحو ما تعتبره خديعة المشاركة السورية في مؤتمر أنابوليس. وبحسب تصريحات صحافية لوزير الخارجية السوري وليد المعلم بأن القمة ستخصص لموضوع فلسطين بجدارة. وقد عملت دمشق على إفشال مبادرة السعودية للسلام، وكذلك مقررات أنابوليس وأعطت مساحة للفلسطينيين والعرب الممانعين لأية تسوية مع الدولة العبرية، وهو ما شكّل رداً سورياً نموذجياً على الغياب السعودي. وبالرغم من سلبيات غياب الملك عبد الله على دمشق، فإن واحدة من إيجابياته تحرير سوريا وعدد من قادة العرب في البوح بمواقف غير متحفظة حيال عملية السلام مع الدولة العبرية، والتي حققت الأخيرة أهدافاً كبيرة على حساب العرب منذ مؤتمر مدريد في نهاية ١٩٩١، وحتى أنابوليس في نوفمبر ٢٠٠٧.

قنوات التجنيد في شبكات القاعدة مفتوحة

مواصلة تأصيل التطرف الفكري

محمد قستي

في ظل الإنشغالات السياسية الخارجية، تبدو الملفات الساخنة داخلياً مسكوتاً عنها لأجل غير محدود، طالما أن لا تأثيرات خارجية ضاغطة ولا تعبيرات سخط ظاهرة محلياً تدفع بها إلى الواجهة. وباستثناء غلاء الأسعار المتصاعد، فإن ملفات الفساد المالي، والإصلاح الشامل السياسي والإداري والإقتصادي والقضائي، وسجّل إنتهاكات حقوق الإنسان، وتنقية المناهج التعليمية، باتت مجمّدة. ويتساءل كثيرون عن مصير الثروة النفطية المتعاظمة، وغياب دورها في مشاريع التنمية وحلحلة المشكلات الإقتصادية ذات الصلة بأحوال السكان، وعن مصير الشفافية والمحاسبة اللتين بشّر بهما الملك قبل سنوات من أجل محاربة الفساد ووقف هدر المال العام، وتقليص مخصصات الأمراء دون وجه حق، وعن مصير الإصلاح الذي تم استبداله بـ (التطوير) كي لا يتّهم الأمراء بالفساد، ولكن يبدو السؤال، شأن أسئلة أخرى، ضامرة عن قصد وسابق إصرار من قبل الأمراء، فثمة موضوعات قابلة للإلهاء ونهب الإهتمام العام.

من بين القضايا المسكوت عنها، ثقافة التطرّف التي تمثّل فتاوى التكفير أحد أبرز موضوعاتها. وبالرغم من الحديث عن حصر مصدر الإفتاء في المؤسسة الدينية الرسمية، إلا أن لا الدولة ولا حليفها الديني السلفي ملتزمان بقرار من هذا القبيل، فقد تحوّل سلاح التكفير إلى عنصر قوة بيد الأمراء من أجل تكريس الإنقسام الداخلي وتفجير التناقضات الأيديولوجية التي يمكن تثميرها في تعزيز السلطة المركزية، كقوة حسم نهائي.

في السنوات الثلاث الأخيرة تشكّلت لجان مناصحة برعاية وزارة الداخلية تستهدف البعد السياسي للتطرّف الديني، بمعنى تصحيح موقف ورؤية وسلوك الجماعات السلفية الجهادية من نظام الحكم في السعودية، فيما لا إنشغال حقيقي على مشروع إصلاح عقدي شامل والمفضي إلى تجفيف منابع التطرف، وإزالة مبررات العنف.

في السنوات الماضية، كنّا - ومازلنا حتى الآن - نؤكّد على أن ثمة تطابقاً بين القاعدة والمؤسسة الدينية الرسمية في عودة كليهما لمرجعية فكرية واحدة، وما الإختلاف بينهما سوى في وسيلة التطبيق وليس في الرؤية الدينية العامة لكل الموضوعات الواردة في المنهج السلفي. نقطة الإفتراق الوحيدة التي تساق، تدور حول الموقف من الدولة السعودية، إن كانت قائمة على مشروعية دينية أو ظلّت طريقها الى إقامة دولة تطبيق الشريعة على نحو ما بشّر به الشيخ إبن تيمية والشيخ إبن القيم. ولكن حتى هذه النقطة الإفتراقية تبدو مواربة، كون العرائض التي رفعها أقطاب كبار في المجتمع الديني السلفي في التسعينيات تكشف عن موقف عقدي من الدولة السعودية، يلفت بوضوح إلى أن المخالفات الشرعية، بحسب وجهة نظرها، تنزع عنها صفة الدولة الدينية، وهو ما شكّل أساساً لجماعات سلفية لاحقة إندمجت في شبكة القاعدة كيما تتوسل بالخيار العسكري من أجل العمل على إسقاط الدولة السعودية.

صحيح أن ثمة في العائلة المالكة من حاول إستثمار الحماسة الدينية في شكلها الفدائي في مشاريع سياسية داخلية وخارجية وخصوصاً في العراق ولبنان، وربما في دول أوروبية، كما بشّر بذلك الأمير بندر بن سلطان، رئيس مجلس الأمن الوطني في مرات عدّة.

وكما أفاد عبد العزيز، مؤسس الدولة السعودية، من جيش الإخوان في الفترة ما بين ١٩١٢ - ١٩٢٧ لتحقيق مآربه السياسية، فإن أبناءه وأحفاده ساروا على نهجه في تسخير السلفيين الجهاديين في مشاريع سياسية عابرة للحدود، قد تضم إلى جانب السعودية إسرائيل والولايات المتحدة، دون أن يدرك هؤلاء المخدوعون بأنهم يساقون ببلاهة الى محرقة موت ليس فيها للأهداف الدينية مكانة، تماماً كما اكتشف بعض الهاربين من محارق موت في العراق ولبنان.

ما يلفت الإنتباه، أن ما يسمى فكر القاعدة، ليس سوى محاولة إخفاء شهادة المنشأ للفكر المتطرّف، وحين يقال بأن فكر القاعدة قد تم القضاء على كثير من مصادره في الداخل، لا يعدو كونه دعوى غير واقعية. يتفاجأ بعض المراقبين بأن هذا الفكر مازال ناشطاً في السعودية، ما يسقط الزعم القائل بأن الحكومة السعودية تمكّنت من إخماد بؤر التطرّف، وقطع مصادر تمويل القاعدة، وتطويق خطوط التجنيد الخاصة بالشبكة.

في ٩ مارس الماضي، كانت وزارة الداخلية السعودية في حالة استنفار بعد رواج رسالة صوتية مسجّلة من نائب زعيم تنظيم القاعدة أيمن الظواهري والتي تدعو لجمع الأموال. حملة قادتها الوزارة ودامت إسبوعاً كاملاً من أجل ملاحقة تداعيات الرسالة، بعد مطالبة المواطنين والمقيمين الذين وصلتهم الرسالة بالإبلاغ عنها. وأعلنت الوزارة عن إلقاء القبض على عشرات ممن اشتغلوا على تعميم الرسالة عبر الهاتف الجوّال التي تضمّنت دعوة بالتبرعات لدعم المحتاجين من الأسر في باكستان وأفغانستان.

ما يجدر ذكره، أن غياب النشاطات العسكرية للجماعات السلفية المسلحة في الداخل، لا يعكس غياباً لأدبيات الفكر السلفي المتشدد، التي مازالت تروج في الأسواق العامة، وهي كفيلة بتحقيق أغراض الشبكات التنظيمية المسلّحة من قبيل التجنيد، والتمويل، والدعاية.

فهناك من يرى بأن ما تم إنجازه في مجال القضاء على فكر التطرف لا يتجاوز البعد الأمني، أما البعد العقدي فمازال متماسكاً، وهو نفسه الذي ينبث عبر أقنية الدولة نفسها، وخصوصاً وزارة الشؤون الإسلامية، ووزارة التربية والتعليم، أو مؤسسات فرعية مثل اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء والإرشاد، وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجامعات الدينية، ومراكز الدعوة، ومواقع العلماء على الشبكة العنكبوتية.

إحتفاظ الفكر المتشدد بقنوات دعوية ناشطة يمنح الجماعات المسلّحة، بما فيها تنظيم القاعدة، فرصة إستئناف عملها الجهادوي، والذي قد يأخذ أشكالاً متطوّرة ومعقدّة بحسب طبيعة الظروف السياسية والأمنية التي تخلقها حالة السخط الشعبي كرد فعل على إخفاقات الدولة في تسوية مشكلات ملحّة إقتصادية وسياسية وحقوقية.

تدرك وزارة الداخلية بأن ثمة ثغرات كبرى يمكن للجماعات المسلّحة العبور منها، من خلال ما تشيعه وسائل التعبير الدعوي في الداخل من ثقافة متشددة تجد طريقها إلى كل قنوات الإتصال الرسمية والشعبية. يلفت إلى ذلك أيضاً تصريح اللواء منصور التركي، المتحدّث بإسم وزارة الداخلية حين قال بأن خطط مكافحة القاعدة غير كافية، مشيراً إلى إمكانية استمرار عمليات التجنيد، ومطالباً بمواجهة القصور

في دور الأسرة والمدرسة والمسجد لتوفير الحماية الفكرية.

هذا التصريح يطيح مزاعم سابقة لكبار الأمراء، وخصوصاً ولي العهد الأمير سلطان ووزير الداخلية الأمير نايف، بأن التطرف على شفير الهاوية، وأنه يشهد قرب نهايته. فما تحفل به الثقافة السلفية الرائجة كفيلاً بتوليد خلايا جديدة للعنف، ما يجعل التصريحات حول مواجهة الإرهاب باعثة على الملل، كونها لا تصدر عن حقائق على الأرض. أحدهم تساءل: كيف يمكن الزعم بنهاية فكر التطرف، ومازال شائعاً في القنوات الفضائية السلفية، وفي الدروس الدينية في المساجد، وفي الخطب الدعوية، وفي فتاوى اللجنة الدائمة، الى جانب صور وأشرطة رجال دين معروفين بخطبهم التكفيرية والتي يتم توزيعها عبر (التسجيلات الإسلامية) المنتشرة في المدن والقرى النائية وحتى محطات البنزين في الطرق السريعة.

أورد أحدهم أسئلة إستنكارية مشتملة على حقائق منها قوله: كيف تريدنا أن نقضي على الإرهاب وفكر القاعدة وبعض أئمة المساجد والمشايخ، يوم أن منعوا من جمع التبرعات داخل بيوتهم أو مساجدهم حولوها عبر رسائل الـ SMS عن طريق بعض مواقع شبكة الإنترنت وبغطاء إسلامي وأرصدتهم بمئات الألوف دون عناء أو تعب ويا غافل لك الله!. وكيف تريدنا أن نقضي على الإرهاب ووزارة التربية والتعليم لم تخصّص وتقرّر كتاباً واحداً فقط لتحصّن فيه عقول الطلاب والطالبات من فكر القاعدة يحتوي على خطورة التكفير. وكيف تريدنا أن نقضي على الإرهاب ووزارة الشؤون الإسلامية ووزارة الداخلية لم يضعا حتى هذه الساعة برنامجاً خاصاً بالنساء من تحصين النساء من فكر القاعدة وذلك بمنع التبرعات داخل الأوساط النسائية وداخل دور التحفيظ وتشديد المراقبة عليهن، وأن تكون المحاضرات بإذن رسمي من وزارة الشؤون الإسلامية، والمصرحّات لهن فقط إلى غير ذلك من الضوابط. وكيف تريدنا أن نقضي على الإرهاب وكتب بعض مشايخ التكفير في بلادنا والمقبوض عليهم تباع في المكتبات وبعضها وجدت مع المقبوض عليهم أثناء المداهمات، بل خرج كتاباً مؤخراً يقرّر ماكان يقوله ناصر الفهد وعلي الخضير والخالدي في باب الولاء والبراء ويباع في أرقى مكتبات السعودية! وكيف تريدنا أن نقضي على الأرهاب وبعض أئمة المساجد سمعته وبإذني يقنت ويدعو لتنظيم القاعدة في العراق وافغانستان فقل لي بربك أين وزارة الداخلية عن هذا وأين وزارة الشؤون الإسلامية (المخدرة عن هذه القضايا)، وكيف تريدنا أن نقضي على الإرهاب وهناك من يوجّه (الشباب) ويقرّر لهم أن يعجّلوا في الخروج على الطاغوت وأن عليهم الإستعداد قبل الخروج وهذا نص كلامه: (..ليس المعني في الموقف الثاني تلك الحركات الجهادية التي تدافع عن المسلمين في أفغانستان والشيشان وغيرها، وإنما المعني هم أولئك الذين يرون مواجهة الأنظمة الطاغوتية في بلدان المسلمين دون الحصول على الحد الأدنى من الإعداد والقدرة، وقبل وضوح راية الكفر في تلك البلدان للناس، ودون وضوح راية أهل الإيمان في مقابل ذلك؛ مما ينشأ عنه اللبس والتلبيس على الناس، فتختلط الأوراق ويجد هؤلاء المجاهدون المستعجلون أنفسهم وجهاً لوجه أمام إخوانهم المسلمين الذين غرر بهم ولبس عليهم وقيل لهم بأن حكومتهم شرعية، وأن الخارجين عليها متطرفون إرهابيون مفسدون، ولم يجد الناس من يزيل عنهم هذا اللبس، فحينئذ تقع الفتنة بين المسلمين، ويقتل بعضهم بعضًا..). ويخلص بسؤال ينمّ عن قربه من السلطة: كيف نقضي على الإرهاب وبعض العاملين في القطاعات العسكرية والأمنية يجهلون هذا الفكر؟ وكيفية التعامل معه ونحن نعلم أن تنظيم القاعدة من أهدافه إختراق الأجهزة العسكرية كافة كما قرر ذلك في الكثير من الصوتيات والمطبوعات!


جيش الإخوان

ما يلفت الإنتباه، أن المراقبين لوتيرة الخطاب السلفي المتشدد في السعودية يجمعون على أن الأخيرة لم تنجح حتى الآن في تشخيص دقيق لمشكلة الخطاب الذي تتبناه، وتروّج له، والسبب في ذلك أنها ترى فيه مصدراً لمشروعيتها الدينية، وقد تفيد منه لمواجهة خصومها، فالحليف الديني هو، من وجهة نظر الدولة، يمثّل صاروخ غير موجّه، كما

أفاد عبد العزيز من جيش الإخوان لتحقيق مآربه السياسية، وسار أبناؤه على نهجه في تسخير القاعديين في مشاريع سياسية عابرة للحدود

وصفه وزير العمل الحالي غازي القصيبي ذات يوم، ولابد من إطلاقه قبل أن يقع في أيدي الأعداء. ولكن هذا النمط من التعامل مع الخطاب وأنصاره وخصوصاً المصنّفين في خانة الحلفاء، مشروط بمنسوب وعي منخفض، فما إن ينتبه هؤلاء إلى طبيعة الخدعة التي وقعوا تحت تأثيرها فإن رد فعلهم سيكون إنتقامياً وتقويضياً.

البديل عن نتيجة مأساوية كهذه، هو الإشتغال على مراجعة فكرية شاملة، وتقوم على أساس تنقية التراث السلفي من التكفير، وإعداد البحوث العلمية لعلاج ظاهرة التطرف، وتخفيض دور المؤسسة الدينية في الشأن العام، وإشاعة حرية التعبير وإطلاق مشاريع حوارية على مستوى وطني.

فلا تزال عملية التصحيح للمناهج والخطاب في بدايتها، ينبىء عن ذلك نزعة الإقصاء على قاعدة دينية وتكفير المخالف، فمازالت المناهج الدراسية الدينية متمسكةً بنفس المواقف النمطية من أتباع المذاهب غير السلفية وكذلك أتباع الديانات السماوية الأخرى. من جهة ثانية، لا يزال الإجتهاد داخل الدائرة الدينية محفوفاً بأحكام (التبديع)، و(التكفير).

بالرغم من الإنتقادات المتصاعدة لمناهج التعليم الديني، فإن اعتماد الحرب كوسيلة لنشر الدين أحد الرسائل الكبرى التي يتلقاها الطلاب في المدارس الحكومية، وإسقاط توصيف الصليبيين على أتباع الديانة المسيحية، بما تستحضر أجواء حروب مقدّسة ذات طابع كوني.

يمثل كتاب (عقيدة التوحيد والشريعة) الذي يتم تدريسه للتلاميذ حتى مرحلة الثانوية نموذجاً لعملية التنقيح للمناهج. فالطلاّب يدرّسون بأن عليهم كمسلمين رفض الديانات الأخرى كافة. وحين يوضع ذلك في سياق الحديث المسهب عن إنجازات مؤسس المذهب الوهابي الشيخ محمد بن عبد الوهاب على المستويين الديني والتاريخي، فإن التوجيه العقدي يبدو واضحاً إذ يصبح الإسلام الصحيح مقترناً باعتناق المذهب السلفي الوهابي، مشفوعاً بآراء عقدية تكيل النكير على تقديس الأولياء وزيارة القبور. ولايكاد التلاميذ يتلقون شيئاً ذا قيمة عن التاريخ الإسلامي، أو تاريخ العالم، فكل ما يراد منهم معرفته أن تاريخاً قدرياً عليهم استيعابه، يبدأ بنزول الوحي على النبي المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم ويعاد إحياؤه على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الذي يتحوّل تدريجياً إلى رمز للصحوة الدينية.

ما تقوم به وزارة التربية والتعليم من عمليات تنقيح للمناهج، لا يعتبر ملزماً للمشايخ ولا للثقافة الشعبية السائدة خارج جدران المدارس، حيث يحافظ الخطاب الديني السلفي المتشدد على وحدته وتماسكه وفورانه. فالشفافية والانفتاح على العالم يبدوان ميزتين ممقوتتين لدى المجتمع السلفي، الذي يرى في الإلتصاق بموروثه وثقافته بصرف النظر عن موقف الآخر رداً طبيعياً على من يطالبونه بالتصحيح.

مهندّس الحروب في الرياض

تشيني يحصد ريح بوش

محمد فلالي

جولة نائب الرئيس الأميركي ديك تشيني في المنطقة جاءت إستكمالاً لجولة رئيسه جورج بوش في فبراير الماضي، والتي وضع فيها حجر الأساس لمشروع توتير الأجواء السياسية في المنطقة، وتعزيز القطيعة بين معسكرين رسمت حدودهما واشنطن قبل سنتين، حين قسّمت الشرق الأوسط الى معسكر للمعتدلين وآخر للأشرار بحسب معايير خاصة.

ديك تشيني جاء للمنطقة لاختبار نتائج التوتير السياسي الذي بدأه الرئيس جورج بوش، وإمكانية البناء على الشيء مقتضاه، أي فحص إمكانية الذهاب في خيارات تصعيدية أخرى في حال أثمرت أجواء التوتير في صنع أرضية صالحة للسير في خيارات كهذه.

ما تغيّر بين جولة بوش وجولة تشيني هو نظام إقتصادي عالمي يوشك أن ينهار على رؤوس أصحابه، فجنون الأسعار يغزو كل زوايا العالم، فيما تتهيأ كبريات البنوك والشركات الصناعية وكذلك الأسواق النقدية لانهيارات متوالية، على وقع زيادة مضطردة في أسعار النفط، وزيادة السخط الشعبي العارم في المنطقة من أوضاع معيشية غير محتملة بسبب خلخلة عنيفة أصابت أسعار السلع الأساسية، وطالت كل جوانب الحياة، ما ينذر بانفجارات شعبية غاضبة تفقد حكومات المنطقة القدرة على كبتها أو إحباطها.. تشيني جاء الى المنطقة للبحث عن حلول لمشكلات بلاده التي توشك أن تغرق في أزمة إقتصادية خطيرة، بفعل التضخم بالرغم من محاولات (التبريد) عبر تخفيض سعر الفائدة. وتشيني يأتي الى المنطقة في وقت يفقد الناتو سيطرته على العاصمة الأفغانية كابول، بعد أن خرجت ثلاثة أرباع البلد من سيطرته ووقعت في قبضة طالبان والقوى الأفغانية المسلحة الأخرى، فيما تتزايد حوادث القتل في الجنود الأميركيين في العراق، وخصوصاً خلال جولة تشيني، وكأن هناك من أراد إيصال رسالة له بأن ما تحمله في جعبتك من تصوّرات مستقبلية قريبة أو بعيدة ليست صالحة للتطبيق.

على أية حال، جاء تشيني إلى المنطقة وفي جعبته ملفات عدة: إقتصادية وسياسية وأمنية، وبحسب تعريف فضل شلق له فإنه شخص تتقاطع فيه المصالح الأميركية الكبرى، بما فيها النفط، والأيديولوجية السائدة في الولايات المتحدة، مع وجهات النظر الإستراتيجية للقوى المسلحة، وهو كان أحد المحرّضين الأساسيين على شن حرب العراق وأفغانستان، إلى جانب المحافظين الجدد. الأرجح أن الإقتراحات التي سوف يرفعها للرئيس بوش سوف يؤخذ بها بقية هذا العام من رئاسة هذا الأخير. ويشرح شلق دور تشيني في المنطقة بأنه يتراوح بين الترغيب والترهيب، ويعلّق (وهذا أمر طبيعي في كل أنواع التفاوض. ليس صدفة أن التفاوض يأتي قبيل انعقاد القمة العربية. إذا لم تكن الدول العربية متفقة قبل وخلال وبعد القمة، فإن قيمتها في التفاوض ستكون ضئيلة، وسيكون التفاوض الحقيقي مع دول المنطقة غير العربية، وسيدفع العرب ثمن التفاوض سواء كانت الغلبة للترهيب والحرب أو للترغيب والتهدئة. إذا وقعت الحرب، سيصيب العرب دمار كبير، دون غيرهم، هذا إذا أصاب غيرهم. وإذا مالت الكفة نحو التهدئة مع انفراط العقد العربي، فسينتهي الأمر إلى تنفيذ لمشروع الشرق الأوسط الكبير).

أخفى تشيني الملفات الساخنة خلال جولته ومباحثاته مع الملك عبد الله وعدد من قادة الإعتدال لتكون مورد تداول في الجلسات الخاصة والمغلقة، وأبقى على لغة التوتير التي لهج بها الرئيس بوش طيلة جولته الأخيرة في المنطقة، بالرغم أن تشيني لم يعد بحاجة إلى التذكير بنفسه كأحد صقور ومهندسي الفوضى الخلاّقة. وفيما يبدو، فإن جولة تشيني تبدو أشد تعقيداً كونها تأتي في سياق مضطرب تتداخل فيه الموضوعات السياسية بالإقتصادية والأمنية بالإستراتيجية، في غياب مؤشرات واضحة عن إمكانية الخروج من المأزق بنصر حاسم. هناك ملفات شائكة أراد تشيني من السعودية أن تكون رافعة أساسية للتخفيف من الأعباء الملقاة على كاهل إدارة بوش. في الموضوع الأفغاني، على سبيل المثال، تشعر الولايات المتحدة وحلفاؤها في حلف الناتو بأن ثمة حاجة لعملية انقاذية، ويراد من السعودية أن تحقن أفغانستان باستثمارات إقتصادية تعين على استتباب الأوضاع الأمنية.

لقاء تشيني بالملك عبد الله في الرياض اشتمل على موضوعات رئيسية، كان قد ألمح إليها في زياراته لسلطنة عمان، والعراق، من بينها: الدور السعودي في تطويق النفوذ الإيراني في العراق عبر فتح سفارة لها في بغداد والمشاركة بدور أكبر في تدعيم جهود المصالحة العراقية على أساس تحقيق توازن قوى مقابل الدور الإيراني، الذي تخشى واشنطن أن يمضي الوقت على إدارة بوش دون أن تنجح في إحكام قبضتها على العراق. مسؤولون أميركيون وسعوديون تحدّثوا مراراً عن أن إيران هي المنتصر الأكبر في عملية إحتلال العراق من جانب الولايات المتحدة وبريطانيا، وأن السعودية تشعر بمرارة فشل الإدارة الأميركية في الحد من النفوذ الإيراني، ولم تخف الرياض حتى للمسؤولين الكبار في الحكومة العراقية بمن فيهم المقرّبين من رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي إستعدادها لدفع أضعاف المبالغ التي قدّمتها للرئيس العراقي السابق صدام حسين من أجل إعادة الوضع الى ما كان عليها قبل التاسع من مارس ٢٠٠٣. وبالرغم من أن جهات أميركية وبريطانية تميل الى تقديم كل المساعدة الضرورية من أجل تسهيل دور سعودي في المعادلة العراقية، إلى جانب ما تقوم به المخابرات السعودية العامة بقيادة الأمير مقرن بن عبد العزيز ورئيس مجلس الأمن الوطني الأمير بندر من ترتيبات سريّة مع أطراف عراقية مثل رئيس الوزراء العراقي الأسبق إياد علاوي ورئيس جهاز الاستخبارات محمد الشهواني لجهة تخريب العملية السياسية، إلا أن المحاولات جميعها باءت بالفشل، بسبب إحباط الحكومة العراقية وأجهزتها الأمنية لمخططات سعودية أردنية كان يراد تنفيذها في مناطق الجنوب العراقي. وكان عثور الحكومة العراقية على وثائق ومعلومات واعترافات ذات صلة بالمخططات تلك قد أحدث ضرراً بالغاً في أي دور يمكن للسعودية أن تلعبه في الساحة العراقية، حيث ينظر المسؤولون العراقيون الى السعودية كأحد أبرز الأطراف الضالعة في دوامة العنف في العراق، إلى جانب الدور المتواصل لمجموعات سلفية قاعدية قدمت من السعودية بهدف تطبيق مفهومها الخاص للجهاد.

كان الأمير سعود الفيصل قد أعلن قبل أقل من عام بأن الرياض تستعد من أجل إرسال سفير لها في بغداد، بطلب من واشنطن، ولكن ما لبث أن تمّ تأجيل القرار السعودي، بحجة أن الأوضاع الأمنية لم تزل غير مناسبة للقيام بخطوة كهذه، إلا أن المصادر العراقية تتحدث عن أن قرار الرياض بالإحجام عن فتح سفارتها عائد إلى المعلومات التي أوصلها العراقيون الى الحكومة السعودية بخصوص ضلوعها في مخططات لتخريب العملية السياسية. ومهما يكن،

فإن تشيني الذي طالب من بغداد الدول العربية وعلى رأسها السعودية بفتح سفاراتها في العراق قد استعمل نقطة بالغة الحساسية المتمثلة في النفوذ الإيراني من أجل تحفيز قادة المنطقة على القيام بخطوة سريعة، مذكراً إياهم بمعطيات على الأرض: أن الولايات المتحدة تواجه مأزقاً حقيقياً في العراق ولا سبيل الى الخروج منه إلا بمساعدة حلفائها عبر فتح سفاراتها، وتدعيم العملية السياسية، وثانياً أن المعادلة العراقية الراهنة لم يعد بالإمكان استبدالها، وعلى قادة هذه الدولة التعامل معها بإيجابية بدلاً من التفكير في خيارات راديكالية غير مضمونة، بل قد تنطوي على تداعيات أمنية خطيرة على دولهم.

في الملف اللبناني، وعلى العكس من الملف العراقي، فإن وجهات النظر بين تشيني وقادة دول الإعتدال تبدو متطابقة تماماً، فقد كانت الخطة التي تم الإتفاق بشأنها بين الأمير سعود الفيصل وفريق ديك تشيني في فبراير الماضي تسير وفق وتيرة ثابتة، بدأت بوصول الباخرة كول الى شواطىء لبنان وأعقبها تحذير سعودي للمواطنين بعدم السفر الى لبنان، في خطوة وصفت بأنها غير مسبوقة، مهّدت لأجواء حرب نفسية من أجل الضغط على سوريا والمعارضة في لبنان للقبول بانتخاب رئيس للجمهورية قبل الحديث عن حكومة وحدة وطنية وقانون إنتخابي جديد.

وفيما كانت الإدارة الأميركية توجّه نصيحة لحلفائها في المنطقة بالتريّث قبل إصدار قرار بالمشاركة في قمة دمشق، رسمت زيارة تشيني للسعودية خطاً فاصلاً في عملية صنع القرار لدى عدد من الدول وخصوصاً السعودية ومصر والأردن ولبنان. ما رشح قبل محادثات تشيني والملك عبد الله بشأن قمة دمشق يدور حول دفع الرياض نحو إعلان المقاطعة الكاملة للقمة، صدّقه القرار السعودي اللاحق بتخفيض مستوى المشاركة في قمة دمشق الى مستوى ممثلها في الجامعة العربية وهو موقف تكرر بالنسبة لمصر والأردن. من جهة ثانية، كان الخط الساخن بين رئيس الحكومة اللبنانية فؤاد السنيورة ووزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل مفتوحاً طيلة فترة جولة تشيني للمنطقة، من أجل متابعة آخر التطوّرات بشأن الملف اللبناني، وما يترتب عليها من قرارات.

كان الموقف السعودي الأميركي متطابقاً بشأن موعد الإستحقاق الرئاسي الذي حدّده رئيس مجلس النواب اللبناني نبيه بري في ٢٥ مارس، حيث تأكّد لنائب الرئيس الأميركي وقوف الملك عبد الله خلف خيارات فريق ١٤ آذار الحليف لواشنطن. مصادر سعودية مقرّبة من العائلة المالكة ذكرت بأن تشيني طمأن الملك عبد الله الى أن فشل المبادرة العربية التي تدعمها الرياض والتي تملي انتخاب قائد الجيش ميشال سليمان رئيساً للجمهورية، يتطلب مزيداً من الصرامة حيث ستكون الخيارات البديلة بالتخلي عن سليمان كمرشح توافقي وإعادة استعمال ورقة النصف زائداً واحد لانتخاب أحد مرشحي فريق ١٤ آذار حتى وإن أدى ذلك الى (تصادم) مع المعارضة. المصادر لفتت إلى أن حملة فريق ١٤ آذار على نبيه بري قد تأتي في سياق التطمينات الأميركية الى القيادة السعودية بأن الأمور سائرة نحو التصادم، ولا خيار أمامنا سوى القبول بالتحدي، طالما أن المعارضة متمسّكة بمواقفها على أساس تفسيرها للمبادرة العربية. تشيني أبلغ الملك عبد الله أيضاً بأن البديل عن المبادرة العربية سيكون تشكيل حكومة مؤقتة تحظى بدعم دولي تفرض على المعارضة طريقاً محدداً في مناقشة الشراكة السياسية.

الميل الى إنتاج صيغة جديدة خارج المبادرة العربية يعكس نفسه في سلوك فريق الموالاة، بعد أن رفض الجانب الروسي إستعمال نفوذه لدى سوريا، من أجل إرغامه على القبول بتطبيق المبادرة العربية بحسب تفسير السعودية والولايات المتحدة. النداءات المتواصلة من قبل مسؤولين كبار في دول الإعتدال الى سوريا للضغط على المعارضة للقبول بخطوة الإستحقاق الرئاسي أولاً وأخيراً، لم تحدث أدنى تغيير في سلوك القيادة السورية، وكان ذلك قد أسقط ورقة قوية بيد خصومها من أجل استعمالها في موضوع المشاركة في القمة العربية. الجانب الروسي هو الآخر لن يقبل بتجاوز المؤسسات الدستورية اللبنانية ولا الهيئات الدولية، مع الحديث عن احتمال عقد مؤتمر دولي خارج إطار هيئة الأمم المتحدة لحشد الدعم لحكومة مؤقتة في لبنان يديرها فؤاد السنيورة ويكون بديلاً عن رئيس الجمهورية، من أجل ترتيب مجمل الأوضاع التشريعية والسياسية والأمنية في لبنان والتي تفيد في المرحلة المقبلة خصوصاً فيما يترابط بالإنتخابات التشريعية العام المقبل.

الجانب الروسي الذي رفض الضغط على سوريا، وأطلق تصريحين لافتين: الأول خاص بلبنان حين دعا الموالاة والمعارضة الى إنتهاج طريق الحوار والتوافق لإنهاء أزمة الملف الرئاسي وعدم الإنزلاق نحو الحرب الأهلية، والتصريح الآخر خاص بإيران حيث أكّد الجانب الروسي على أن نتائج الهجوم العسكري على إيران بهدف تفكيك منشآتها النووية ستكون كارثية.

معارضة الجانب الروسي للدخول في لعبة الإصطفافات الداخلية والإقليمية في الملفات اللبنانية والسورية والإيرانية، تم استبداله بتصعيد وتيرة الحرب الإعلامية والنفسية، حيث تجددت حملة الإتهامات بين رئيس مجلس النواب اللبناني نبيه بري وقوى ١٤ آذار، على خلفية مبادرة ينوي بري تسويقها لبنانياً وعربياً ودولياً في حال فشلت قمة دمشق في إنتاج حل للمشكلة اللبنانية، فيما تصرّ قوى الموالاة على دعوة مجلس النواب الى جلسة عامة وقبول رئيس المجلس المشروط بعدم حضور الحكومة.

على أية حال، فإن تشيني الذي يجد نفسه غارقاً في ملفات أكثر خطورة، وتتعلق بالإقتصاد الأميركي ومطالبته السعودي برفع سقف إنتاجها من النفط يومياً للعبور من أزمة داهمة تعيشها الولايات المتحدة في الوقت الراهن، وكذلك الملف النووي الإيراني الذي لم ينجح فريق تشيني وحلفاؤه الأوروبيون في كسر إرادة الحكومة الإيرانية وإرغامها على وقف التخصيب، لا تجد واشنطن أفضل من الرياض في تحمّل بعض الملفات الأقل سخونة بالنيابة عنها، مثل لبنان، والمحكمة الدولية الخاصة باغتيال رئيس الوزراء الأسبق رفيق الحريري، وكذلك عملية السلام بين الدولة العبرية والفلسطينيين بالرغم من أن الرياض خسرت كثيراً من مصداقيتها بعد أن أصبحت القاهرة وصنعاء شريكتين أساسيتين في تقريب وجهات النظر بين الفلسطينيين.

تشيني أمل في دور سعودي فاعل قبل حلول شهور مايو المقبل، حيث سيكون بوش ضيفاً لآخر مرة في المنطقة من أجل تسجيل، إذ صدق القدر، المنجز السياسي اليتيم في عهده الباعث على الضجر، أي بإطلاق مشروع الدولتين. إشارة يائسة أطلقها تشيني من رام الله حين قال بأن الدولة الفلسطينية كان مقدّراً لها أن ترى النور منذ زمن طويل لولا الصواريخ الفلسطينية. وفي ذلك تصريح إستباقي بتحميل مسؤولية عدم قيام الدولة الفلسطينية للفلسطينيين وحدهم، وليس لانحيازية الجهود المبتورة لإدارة بوش.

وسواء أسفرت جولة تشيني الى المنطقة عن حرب أو سلام، فإن عمر أي منهما يبدو قصيراً، وهو بعمر إدارة بوش التي لم تفلح حروبها في إنتاج سلام ناجح، فيما أفضى سلامها إلى فوضى عارمة على مستوى العالم، ولذلك فإن العالم سيكون أكثر أمناً بغياب بوش وفريقه بأكمله.

السعودية لرعاياها: لا (تصييف) في لبنان

لأنها لا تريد أن تتحدث عن هذا الأمر بشكل مفتوح للغاية بحيث يثير الريبة اللبنانية من القرار وبأن هناك خططاً أميركية إسرائيلية تشارك فيها السعودية لشنّ حرب على لبنان أو سوريا هذا الصيف.. رأت السلطات السعودية أن توصل إمارات المناطق، ممثلة بشخص أمرائها، أوامر للغرف التجارية في كل منطقة، بأن ينصحوا التجار ورجال الأعمال بأن لا يتوجهوا وعوائلهم الى لبنان هذا الصيف. وحتى الآن، فإن بقيّة المواطنين لم يتلقوا نصائح بهذا الشأن، ولكن يعتقد بأن الإعلان السعودي سوف يتسرّب الى بقية المواطنين بهدوء.

أمير المنطقة الشرقية، محمد بن فهد، أمر الغرفة التجارية في المنطقة الشرقية بأن توصل الأوامر والنصائح الى رجال الأعمال، وهكذا فعلت الغرفة، حيث جاء في تعميم وقعه أمينها العام عدنان عبدالله النعيم، التالي:

تهديكم الغرفة التجارية أطيب تحياتها، وتفيدكم بتلقيها خطاب صاحب السمو



غرفة الشرقية
ASHARQIA CHAMBER

الرقم: ٩/١١/١٠٠-٣٦١٠٠
الموافق: ١٧/٣/٢٠٠٨م

السادة/ رجال الأعمال المحترمين

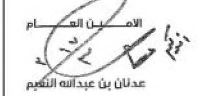
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تهديكم غرفة الشرقية أطيب تحياتها، وتفيدكم بتلقيها خطاب صاحب السمو الملكي أمير المنطقة الشرقية رقم ٨س/٢٥٠٧ وتاريخ ١٤٢٩/٣/١هـ بخصوص صدور الأمر السامي الكريم رقم ٩٠٠/م ب وتاريخ ١٤٢٩/٢/٤هـ القاضي بتوجيه العوائل السعودية بعدم السفر إلى لبنان خلال العطلة الصيفية المقبلة.

لذا نأمل التكرم بالاطلاع والاحاطة.

وتقبلوا خالص التحية والتقدير ...

الأمين العام



عدنان بن عبدالله النعيم

الملكي أمير المنطقة الشرقية رقم ٨س/٢٥٠٧، وتاريخ ١٤٢٩/٣/١هـ، بخصوص صدور الأمر السامي الكريم رقم ٩٠٠/ م ب، وتاريخ ١٤٢٩/٢/٤هـ، القاضي بتوجيه العوائل السعودية بعدم السفر الى لبنان خلال العطلة الصيفية المقبلة. لذا نأمل منكم التكرم بالإطلاع والإحاطة.

القرار عام كما هو واضح، وهو صادر من رئيس مجلس الوزراء، الملك نفسه، وهو يعني كل السعوديين، وهو صادر قبل الصيف بمدّة، فتاريخ صدور (الأمر السامي) هو ١٢ فبراير الماضي، وتاريخ تعميم الغرفة التجارية هو ٩ مارس الماضي، وتنبئ الفاصلة الزمنية بين صدور الأمر السامي وعطلة الصيف في يونيو القادم، أن السعودية ليس فقط تتوقع استمرار الأزمة اللبنانية، بل تتوقع تصاعدها الى حد الحرب ربما، خاصة وأن رايس قادمة، وكذلك الرئيس الأميركي نفسه في مايو القادم، ولن يأتي الرئيس بدون منجز، وإن كان حرباً.

الدولار يجوّع السعوديين!

كل الإقتصاديين يقولون بأن التضخّم الذي تشهده السعودية والذي لا يماثله ارتفاع منذ ٢٧ عاماً، سببه ضعف الدولار، وارتباط العملة السعودية به، الأمر الذي يجعل القدرة الشرائية للريال ضعيفة، خاصة وأن السعودية تستورد معظم ما تحتاجه من العالم، الأمر الذي ينعكس على الغالبية العظمى من الشعب السعودي بالسلب.

حاول الخليجيون الذين يعيشون نفس المشكلة، حل المشكلة بزيادة الرواتب، بعضهم الى الضعف، في حين أن السعودية قررت زيادة الرواتب ١٥٪ قبل نحو عام، التهمت بسبب التضخم، وأتت على أساسيات رواتب موظفي الدولة، وغيرهم.. ثم ابتدع السعوديون (معونة) أو (مكرمة) ملكية! تكون بمثابة بدل غلاء تصل الى ٥٪ وتشمل فئات محدودة.

لكن التضخم يرتفع، والمواطنون يضجّون من الغلاء، والحل إما بزيادة الرواتب الى أكثر من الضعف، سواء في القطاع العام أو الخاص، بحيث تستمر زيادة الرواتب بذات معدلات انخفاض قيمة الدولار وارتفاع الأسعار، أو فكّ ارتباط الريال بالدولار، حيث تقدر قيمة الدولار الحقيقية عند بعض المراقبين الماليين بـ ٢.٩٠ ريال، في حين أن قيمته الرسمية ٣.٧٥ ريال.



قرار زيادة الرواتب ليس حلاً صحيحاً، وغير ممكن في المدى المنظور، والقرار الصحيح إعادة تقييم الريال مقابل الدولار، وعدم ربطه به، بل بعملات أخرى، واحدة كانت أم سلة من العملات. لكن هذا القرار (سياسي بامتياز) ودول الخليج تريد أن تفعل ذلك، ولكنها من منظور غير اقتصادي (أي سياسي) لا تستطيع اتخاذ القرار، فالأميركي لا يقبل، وقادة الخليج لا يستطيعون أو لا يريدون إزعاج واشنطن بقرارهم، ولتتحمل شعوبهم عبء الغلاء والتضخم.

مصلحة الإحصاءات العامة السعودية، أعلنت في ٢٣/٣ الماضي، أن التضخم بلغ في فبراير الماضي ٨.٦٧٪ ، وتوقعت زيادة كبيرة قادمة في أسعار المواد الإستهلاكية والإيجارات. ورأى خبراء أن مكافحة التضخم الحكومي من خلال تخفيض الإنفاق في ظل الطفرة النفطية أمرٌ شبه مستحيل، خاصة وأن السعودية بحاجة الى الإنفاق في تحديث بنيتها التحتية، وسدّ النواقص في قطاعاتها الخدمية المتهرّئة.

وتقول مصلحة الإحصاءات أن الإيجارات زادت بنسبة ١٨٪، وأن أسعار المواد الغذائية زادت بنسبة ١٣٪، وأن مؤشر تكلفة المعيشة ارتفع العام الماضي بنسبة ٦.٩٩٪. ويعتقد أن نسب التضخم ستزداد أكثر فأكثر. فهل يستطيع المرتبط سياسياً وحمائياً بأميركا أن ينفك عنها اقتصادياً ونقدياً؟!

من يحاصر من: السعودية أم سوريا؟

أعلنت السعودية (٣/٢٤) أن مندوبها في الجامعة العربية أحمد القطان، سيمثل المملكة في قمة دمشق! هذه القضية لم تحدث في تاريخ مشاركة السعودية في القمم العربية، فإما أن يأتي الملك أو ولي عهده. دعاة القطيعة مع دمشق من السعوديية اعتبروها (ضربة استباقية) لتحويل القمة الى (اجتماع بروتوكولي) وكأن القمم العربية السابقة خرجت عن إطار البروتوكولات!

ودعاة القطيعة نصحوا مازحين بأن يمثل (فرّاش) السفارة السعودية بدمشق المملكة في القمة!، وكأن التمثيل المنخفض عقاب لدمشق، وليس تهميشاً لدور السعودية في محيطها الإقليمي والعربي. ودعاة القطيعة رأوا في التمثيل المنخفض وسيلة لمحاصرة سوريا سياسياً، والصحيح أن السعودية وجناح الإعتدال العربي ومن ورائهم أميركا هم المحاصرون في عالمنا العربي شعبياً وسياسياً.

السعودية هي المحاصرة سياسياً، ومثلها عباس وملك الأردن ورئيس مصر. ما قيمة هؤلاء اليوم في العالم العربي؟ ما هي منجزاتهم السياسية على صعيد القضايا العربية المطروحة؟ لو كانوا كباراً وقادة لمارسوا دور القيادة ولحضروا، ولكنهم لن يغيروا من حقيقة أن النظام في سوريا - رغم سوء سياسته الداخلية - له من الدعم الشعبي العربي أكبر مما لدى (المعتدلين) وأن نظام دمشق لا يشعر

بأنه محاصر، فهو يمسك بأوراق أقوى من السعودية ومصر والأردن مجتمعة إن في لبنان او في فلسطين أو في العراق. ثم إن مكانة السعودية انحطت الى حدّ كبير، فلا أثر لها في كل القضايا، لا في شمال أفريقيا، ولا في القرن الأفريقي، ولا في الموضوع العراقي، ولا اللبناني ولا الفلسطيني ولا الأفغاني ولا حتى الباكستاني والصومالي واليمني والدارفوري! والصحراء الغربية. ربما يعجب دولاً عربية أخرى أن لا يحضر المحنّطان (مبارك وعبدالله). القمة فاشلة سواء انعقدت بحضور المحنطين أم بعدمه، وسواء عقدت في دمشق أم في غيرها. إنها سابقة أن لا تحضر دولة احتجاجاً على موقف أخرى بدل مناقشتها في الجامعة نفسها! وهي قضية غير مسبوقة أن يستخدم (التمثيل الهابط).



عادلة.. أهم أنشطتها قص الشريط!

في مجتمع ذكوري، لا حظّ لامرأة أن تبرز على السطح. ولكن العائلة المالكة، رأت أنه لا يكفي أن يكون الرجال ملوكاً وأمراء على الذكور من المواطنين، بل لا بدّ من وجود أميرات وربما ملكات، بلا ملكة علم ولا دور ولا إنجاز، شأنهن شأن ذكور العائلة، ليكنّ سيّدات وقائدات النصف الثاني من المجتمع. مؤسس المملكة كان يشير الى دور أخته السياسي (نورة) وكان يقول: أنا أخو نورة، أنا أخو الأنور! والملك فيصل، استحدث اسم (ملكة) وأطلقه على زوجته التركية عفت، فكان يطلق عليها: الملكة عفّت، بل وأطلق على بعض الأبراج إسمها!

ثم جاء فهد، فكانت زوجته بنت ابن ابراهيم (الجوهرة) أم (عزّوز!) قطب الرحى، ولكنه رأى أن صعودها في الإعلام قد يسبب مشكلات من نوع مختلف، وهو ما رآه نايف بشأن إحدى زوجاته.

أما الملك عبدالله، فظهر الى جانب صعوده قبل سنوات إسم ابنته (عادلة) ولا نعلم شيئاً عن هذه المرأة. فلا نشاط لديها محلي سوى التطفل على نشاط النساء الحقيقيات، ولا اهتمام لها بقضايا المرأة السعودية سوى قص الأشرطة، فعدد المهتمين بهذا الشأن من النساء محدود ومعروفة أسماؤهن، وبعضهن يتعرضن للضغوط والمنع من السفر والفصل من الوظيفة، والحرمان من الكتابة في الصحف والمشاركة في المؤتمرات.

فمن هي هذه الأميرة (العادلة)؟! هي إسم مجهول، لشخصية بدون عمل أو إنجاز، خاصة ونحن نعلم أين هي حقوق المرأة السعودية، وهي التي لا تستطيع أن تقود سيارة، ولا أن تسافر بمفردها، بل لا يقبل أن تدخل المستشفى في كثير من الحالات؟ فكيف أصبحت عادلة هذه النموذج الأعظم للمرأة السعودية، فتحصل على لقب (السيدة الأولى) وتتسلم جائزة عن منجزات لا أحد يعرفها؟

كما هي العادة، فإن الجوائز تقدم للملك باعتباره وعلى الدوام (أفضل شخصية) في مجال خدمة الإسلام، وما أدراك أية إسلام يقصدون، أو يعطى الأمراء الآخرون شهادات دكتوراة مجانية وجوائز محلية على منجزات مضخّمة، قام بها آخرون في جهاز الدولة.



عادلة هذه ـ وحسب جريدة الحياة ٣/٢٤ ـ رشحها (الخارج) غير السعودي لتحصل على جائزة السيدة الأولى في (مجال دعم قضايا المرأة العربية).. هكذا بالتعميم. وتظن بأن الجائزة مدفوعة الثمن، لمركز هامشي رشحها إسمه (مركز دراسات مشاركة المرأة العربية) ومقرّه باريس. لا تتعجبوا من كلمة (باريس) فأية مركز في العالم العربي مكشوف حجمه ومن يقف وراءه، بينما (باريس) تتضخم في العقل العربي، ويمكن تضليل العرب بذلك المركز العجيب. فمن يسأل عن المركز ونشاطه وماذا قدّم وعن أية امرأة عربية يتحدث ولماذا باريس وليس القاهرة أو دمشق أو حتى الرياض؟! رئيس المركز يجيد ـ كغيره ـ اللعبة، فقد أعطى الأميرة عادلة دوراً ضخماً، كما جائزته، حيث اعتبر كريم فرمان حصول عادلة تعبيراً (عن التقدير العالمي للمبادرات الهادفة والعطاءات الكبيرة ومساندة واضحة للنجاحات التي تحرزها المرأة السعودية في ميادين العمل المختلفة، إضافة الى تقديم عادلة صورة مشرقة عن الدور الفاعل للمرأة العربية في إرساء دعائم بيئة محفّزة على النجاح).

كلام في كلام، لا قيمة له ولا معنى له، فأين حدث كل هذا ومتى؟!

كل ما في الأمر، هناك بعض المال دُفع، فصارت عادلة سيدة العالم العربي.

تعساً للعرب إن كان أسيادهم آل سعود ذكوراً أو إناثاً!

الحامد معتقل: شبك كمزرعة الدجاج!

أدخل عبدالله الحامد وشقيقه عيسى السجن في ٢٠٠٨/٣/٨ الماضي، في اعتقال هو السادس لعبدالله، والثالث لعيسى، على خلفية سياسية هي: المطالبة بالإصلاحات الدستورية والحريات المدنية، ومبرر الإعتقال هو أن الحامد ـ حسب الحكومة ـ حرّض نساء من بريدة اعتقل أبناؤهن وأزواجهن على الإعتصام والإحتجاج بعد مضي مدّة طويلة من الإعتقال دون أن توجه لهم تهماً أو يعرضوا على محاكمة، خلافاً للقانون.

في بلد الحريات! يكون (تشجيع) امرأة مكلومة باعتقال ابنها أو زوجها على الإحتجاج السلمي جريمة وتحريضاً ضد نظام الحكم، وتصبح الدعوة الى احترام القانون في المحاكمات والمداهمات والإعتقالات جريمة بحق الإسلام! وهكذا يدخل الحامد المرة تلو الأخرى الى السجون السعودية في مخالفة صريحة للقوانين المحلية وللمعاهدات التي وقعتها الحكومة السعودية عربية كانت أو دولية.

وحتى الآن فإن عدداً كبيراً من الحقوقيين والناشطين العرب والسعوديين تقدّموا بعرائض الى الحكومة السعودية لإطلاق الحامد وأخيه، كما أن عدداً من المنظمات الدولية الحقوقية دعت الى ذات الأمر، مذكرة بأن الحامد ناشط سلمي حقوقي، وأن الإتهامات الموجهة له تفتقر الى التوصيف القانوني، وأن الإعتقال غير قانوني. كما أن الحكم عليه بستة أشهر سجن، وعلى أخيه بأربعة أشهر أمرٌ مستنكر، ومستهجن، ويزيد من تشويه سمعة السعودية، خاصة وأن القاضي إبراهيم الحسني برر اعتقال الأخوين الحامد بـ(أن موقفهما من، ورأيهما في أن: الاعتصامين النسائيين السلميين، يعتبر حق طبيعي مشروع لهن.. إنما هو فعل مجرّم: تحريض).

ويعاني الحامد العديد من الأمراض، وقد صدم فريق الدفاع بوضع سجن بريدة حيث يوقف الحامد وشقيقه، حيث وجد السجن مكاناً لانتهاك آدمية الإنسان. وقال فريق الدفاع أن السجن (أقرب إلى حظيرة دجاج فعلية تصعقك نفسياً وجسمانياً، لتشعر بقدر من الاهانة والإذلال.. إن حظيرة الدجاج في وضع أفضل كثيراً، ذلك أنها مكيّفة هذه الأيام.. تلك الأوضاع المزرية لشبك حظيرة الزيارة دارت في مخيّلة صاحبنا الدكتورعبدالله الحامد، وفعلت فعلها، فانتفض من خلف الشبك المزدوج، ليقول قصيدته الأولى في سجن بريدة، والتي عنوّنها: شبكٌ كمزرعة الدجاج).

وقال فريق الدفاع أنهم لاحظوا على الحامد (آثار الإجهاد والإعياء) بسبب غياب العناية الصحية، وأن الحامد وضع إصبعه في إذنه وأخرجه ببقعة دم عليها. كما أشار المحامون الى القاذورات واكتظاظ السجن، ونقص الخدمات، ووضع المعتقلين السياسيين مع المجرمين وبينهم مصابون بالأيدز. وأضافوا: (لفت انتباهنا أثناء تلك الزيارة في ٠٨/٣/١٨ أن معظم من رأيناهم هم من الشباب فعلا، ما يعكس تحولات خطيرة في المجتمع وآثاره السلبية المتوقعة، إن لم تكن المحتومة، مستقبلا على الاستقرار للمجتمع و الدولة عموما).

مسيرة المعارضة في السعودية

فشل المطالب الوطنية وخيار الإنفصال

فريد أيهم

في البداية يلزم تحرير مورد النزاع من أجل وعي أفضل لموضوع المعارضة في السعودية، بفعل الملابسات المحيطة بها، سواء من حيث مفهوم المعارضة، ومشروعيتها، ودورها، والبرامج السياسية التي حملتها، والأهداف التي تتغيا تحقيقها، سيما في بلد يحظر تشكيل أحزاب سياسية أو أي شكل من أشكال التجمع، الأمر الذي يجعل عمل الجماعات السياسية محصوراً في نطاق ضيق، ويتّسم بالغموض أحياناً أو بالسريّة تارة، وغالباً ما تنتهي الى مواجهة مع النظام السياسي، بصرف النظر عن آليات عمله سلمية كانت أم راديكالية عنفية.

لذلك، من الضروري التمييز بين معارضة في أنظمة ديمقراطية تحتكم إلى عملية دستورية للتناوب على السلطة.. فهناك سلطة وهناك معارضة يتناوبان على السلطة، وكلاهما خاضعان لحكم القانون الذي ينظم عملية التنافس والتجاذب على السلطة. في هذه الحالة، تصبح المعارضة مشروعة كونها مندمجة في النظام الديمقراطي، إذ لا معنى للديمقراطية ما لم تكفل حرية التعبير، وحق التشكّل الجماعي، وحرية العمل السياسي تمهيداً للوصول إلى حلبة التنافس على السلطة أو تصحيحها.

أما المعارضة في الأنظمة الشمولية وغير الديمقراطية، فتأخذ مسارين: راديكالي يفضي إلى إطاحة النظام واستبداله بنظام آخر، عن طريق العنف بأشكال متنوّعة: الإنقلاب العسكري، الثورة الشعبية، الحرب الأهلية المؤديّة الى الفوضى العامة وتالياً إطاحة النظام، الإنشقاق الداخلي سواء على مستوى السلطة أو المجتمع عبر حركات إنفصالية في منطقة أو مناطق خاضعة تحت سيادة الدولة.

وإصلاحي: يعمل على تغيير سياسات أو سلوك الدولة، عبر آليات سلمية منها التكتّلات النخبوية العفويّة أو المنظّمة للضغط على السلطة من أجل الإصلاح، أو المظاهرات العفويّة ذات الطابع الحقوقي، رفع العرائض الى قادة الدولة، إشاعة ثقافة الاحتجاج عبر وسائل الإعلام المسموحة محلياً وخارجياً، توزيع المنشورات المشتملة على مطالب سياسية محدّدة. ما يجدر الإلفات إليه، أن المعارضة في كلا الحالتين غير مؤطّرة بقانون، تماماً كما هي السلطة التي تحكم ليس وفق لائحة قوانين ثابتة تحدد صلاحياتها. فهنا يتم التجاذب على قاعدة كمية القوة المتوافرة لدى كل طرف، بمعنى أن العلاقة بين السلطة والمجتمع محكومة الى التباين أو التعادل في ميزان القوى. يتذكر الناشطون السياسيون في هذا البلد تصريحات متواترة عن الأمراء نايف وسلمان وسلطان مفادها (لقد أخذنا هذا البلد بالسيف ـ القوة ـ ومن أرادها فليأخذها بالسيف).

مهما يكن، فإن تجارب المعارضة السياسية في السعودية تتطلب مزيداً من البحث العميق، ولا يكفي

> **غياب آلية للعمل السياسي الوطني يضمر خيارات أكثر نجاعة، من بينها الإنفصال كونه يعبّر عن رد فعل حرمان الغالبية**

مجرد إخضاعها للتصنيفات النمطية على أساس إستذكار تحدّراتها الإجتماعية وخلفياتها الأيديولوجية، وميولها السياسية، إذ لم تعد هذه العناصر وحدها الكفيلة برسم مسار قوى المعارضة، فثمة تشابكات بالغة التعقيدة تحكمها تتداخل فيها الروابط المحلية بين الفئات الإجتماعية، والظروف الإقتصادية والسياسية، والتحوّلات الإقليمية والدولية، والمزاج الثقافي العام، وسلوك السلطة في لحظة تاريخية معينة، وكذلك مناخات الإحتقان السياسي والإيديولوجي، ومستوى الوعي التاريخي لدى المجتمع والذي يشكل عنصراً فاعلاً في حركة الإحتجاجات السياسية في أي بلد.

تاريخياً، تحتفظ حركات المعارضة على اختلاف نزوعاتها الأيديولوجية والسياسية ببرامج وإستراتيجيات في التغيير، ولكل منها رؤية محددة حول الدولة المنشودة، ولكن نقطة الافتراق تبدأ من آلية إقامتها. وفي تجارب الحركات الاحتجاجية في السعودية ما يفيد بقيامها بمحاولات تبديل النظام عن طريق المؤسسة العسكرية أو الجمهور، ولكن أمكن تطويق هذه المحاولات سواء عن طريق العنف أو تطبيق سياسات ذات طابع تفريقي، يقوم على تعزيز الفوراق الإقتصادية وتكريس حالة الإنقسام في المجتمع في عملية إزاحة واسعة النطاق للمواقع وتصعيد وتخفيض مستمر لفئات تستهدف إحداث خلخة عميقة في البنى الإجتماعية، وتنسحب عملية الخلخلة على الأجهزة الدولتية ذات الطبيعة الحساسة مثل الجيش، والإعلام، والنفط، وقد يمتدّ الى الجهاز البيروقراطي برمّته.

مراحل المعارضة

سلكت حركة المعارضة في السعودية خطاً تصاعدياً نتيجة عوامل عديدة، من بينها بطبيعة الحال زيادة منسوب الوعي السياسي، إلى جانب الانفتاح الثقافي والإجتماعي على المستويين المحلي والخارجي كأحد أبرز منتجات التحديث الإقتصادي والعمراني. وبصورة عامة، مرّت المعارضة في السعودية بثلاث مراحل:

ـ المعارضة الحقوقية ذات الطابع الخدماتي والمهني (الشيعة في المنطقة الشرقية، أو العمال في أرامكو).

ويمكن أن تسجّل الخمسينيات من القرن الماضي كبداية إفتراضية (مع التذكير بحوادث إحتجاجية متفرقة وقت منذ نشأة الدولة ١٩٣٢ على خلفية حقوقية)، أي مع بروز أنوية إحتجاجية بين عمّال أرامكو، لجهة المطالبة بتحسين ظروف ومعاملة العمال المحليين أسوة بنظرائهم الأميركيين. من جهة ثانية، كان الشيعة في المنطقة الشرقية ملتزمين بأسلوب رفع العرائض الى الملك وكبار الأمراء من أجل تزويد مناطقهم بالخدمات الأساسية، والسماح لهم ببناء مراكز للعبادة الخاصة بهم، وأيضاً وقف الحملات التكفيرية ضدهم من قبل علماء المؤسسة الدينية الرسمية.

ـ المعارضة الأيديولوجية (الحركات اليسارية والقومية في الخمسينيات والستينيات) مستلهمة من التجربة الناصرية. وقد شكلت الإحتجاجات العمّالية القابلة التي سهّلت ولادة تشكيلات

إعتراضية قومية ويسارية، حيث تم استثمار السخط المتعاظم بين العمال في إطار تنظيمي/حزبي، حيث تحوّلت المطالب الإقتصادية الى مطالب سياسية قصوى، بلغت حد السعي لإطاحة النظام سواء عبر مظاهرات احتجاجية أو إنقلابات عسكرية كما جرى في القاعدة الجوية في الظهران بالمنطقة الشرقية، من أجل إقامة نظام متحالف مع الزعيم المصري الراحل جمال عبد الناصر. وقد واجه قادة التشكيلات الحزبية القومية واليسارية حملة إعتقالات وتعذيب قاسية أرغمت كثيراً منهم على المغادرة والعيش في المنفى (في العراق ومصر ولبنان وسوريا وأوروبا) لسنوات طويلة.

- المعارضة السياسية ذات المنطلقات الثورية.

ويمكن القول بأن مرحلة الثمانينات سجّلت عقداً ثورياً عنيفاً، على خلفية نشوء حركة احتجاج سياسي سلفية وشيعية، بدأت بحركة جهيمان العتيبي في نوفمبر ١٩٧٩ بالسيطرة على الحرم المكّي تمهيداً للإنقضاض على الدولة، أعقبتها إحتجاجات واسعة في ديسمبر ١٩٧٩ في المنطقة الشرقية قادها تنظيم ديني شيعي يهدف إلى إشعال ثورة شعبية تطيح الدولة السعودية بوصفها دولة غير شرعية متحالفة مع الولايات المتحدة، إلى جانب كونها ديكتاتورية طائفية. وبالرغم من نجاح الدولة في قمع الحركتين، إلا أنها أرست مرحلة إضطرابات واسعة استمرت حتى منتصف التسعينيات من القرن الماضي، حيث بدأت المعارضة السياسية الشيعية تنشط خارج الحدود، ونجحت في إرباك الحكومة السعودية من خلال نشراتها الإعلامية ونشاطاتها الحقوقية والاحتجاجية في أوروبا والولايات المتحدة، فيما تأخر ظهور إرتدادات قمع حركة جهيمان إلى بداية التسعينيات حين تبنى التيار السلفي الناشط نفس الأفكار التي بشّر بها جهيمان، ثم أخذت طريقها الى التنفيذ في حركة القاعدة ومقاتليها العائدين من أفغانستان.

- المعارضة السياسية ذات المنطلقات الإصلاحية الوطنية. منذ حرب الخليج الثانية سنة ١٩٩٠ وصولاً الى ٢٠٠٤، انطلقت القوى السياسية من مختلف الطيف الأيديولوجي والإجتماعي والمذهبي تتخذ من الدولة وطنية كانت أم دينية منطلقاً لنشاطها الإحتجاجي، فالعمل السياسي يدور حول نقطة ارتكاز أساسية وهي الدولة بعد أن كانت الطائفة أو المنطقة.

ففي العريضة الوطنية التي تقدّمت بها طائفة من الشخصيات الوطنية والدينية سنة ١٩٩١ الى الملك فهد، تم التأكيد على (إشراك جمهور المواطنين في تقرير كل ما يمسّ حياتهم ومصيرهم ومراقبة ومحاسبة كافة الأجهزة التنفيذية التي تعمل لخدمتهم ورعاية شؤونهم حتى يلقى كل مواطن ربه وقد تحمّل كافة مسؤوليته، ودون أن يدعي أنه قد حيل بينه وبين القيام بما افترضه الله عليه). وجاء أيضاً (أن الإصلاح الجذري الشامل لم يعد فريضة شرعية وواجباً وطنياً فحسب، بل هو اليوم مطلب عالمي إنساني، يتناول بالتغيير الأسرة الدولية كلها، حتى الإتحاد السوفييتي وأوروبا الشرقية، ولن ترضوا لمهبط الوحي، وقبلة المسلمين ومجتمع لا إله إلا الله محمد رسول الله، أن يتخلف عن ركب الحرية والإصلاح). وتضيف العريضة (والعالم كله يتحدث اليوم أن نظم الحكم في دول الخليج تحتاج إلى إصلاح جذري يضمن تمكين المواطنين من أداء واجبهم بالمشاركة الفعّالة والإسهام الإيجابي في إدارة شؤون بلادهم ومن ثم لابد من إعادة صياغة هذه النظم بطريقة صحيحة تحقق هذه الأغراض ولذلك فإن من الواجب أن نستبق الحوادث ونصلح أوضاعنا على ضوء شريعتنا السمحاء).

وبصورة عامة، فإن تياراً وطنياً بدأ يشق طريقه منذ عقدين متوسّلاً برؤية إصلاحية ناضجة وعميقة، وتحوّل الى ما يشبه جماعات الضغط التي تزاول نشاطات بهدف إحداث تغييرات في بنية النظام وليس إطاحته، مثل الدعوة إلى الإنتخابات التشريعية، وإصلاح النظام القضائي، وإقرار حكم القانون، وفرض مبدأ الشفافية في مجال توزيع الثروة، ومحاربة الفساد بأشكاله المختلفة الإداري والإقتصادي.

ويمكن القول، أن الخطاب الإصلاحي الذي تبنّته القوى السياسية في السعودية على اختلاف أطيافها كان راقياً وناضجاً بل أمكن الزعم بأن هذا الخطاب أرقى من خطاب الدولة نفسها، ليس على مستوى المطالب فحسب بل وفي طريقة التعبير عنه، الأمر الذي يجعل استعمال الدولة لسلاح العنف ضد التيار الاصلاحي مستهجناً بل منبوذاً، إذ ليس من المنطقي أن يوضع من يحمل مطالب سلمية ومشروعة ومن يحمل السلاح في مرتبة سواء.

حين يتعذّر التعايش المشترك على أساس الحقوق المتكافئة فإن الجماعات الملحقة بالقهر تصبح في حلّ من إلتزامات من جانب واحد

بالنسبة للمعارضة السلفية المتطرّفة التي لجأت منذ البداية في التعبير عن مطالبها بطريقة عنفية تلتقي مع الدولة في التوسّل بأيديولوجية موحّدة، بمعنى أن المعارضة السلفية والدولة تستمدّان من الأيديولوجية الوهابية خطاب السلطة والمعارضة على السواء، فهي أيديولوجية قابلة للتكييف لجهة الحكم، كما أنها في المقابل قابلة للتكييف لجهة المعارضة.

ولكن الأسئلة الكبرى تبقى: لماذا لم تنشأ معارضة وطنية حتى الآن؟ ولماذا أجهضت سريعاً تجربة التيار الإصلاح الوطني؟ وهل صحيح القول بأن المعارضة تعكس حال الدولة، بمعنى أن الخاصية الوطنية المفقودة في الدولة تنسحب على المعارضة



جهيمان: المعارضة المسلحة

التي لم تنشأ على ثقافة وطنية، ولم تنجح هي في تطوير وتنشئة ثقافة وطنية تمكنها من السير بالدولة الى مرحلة الوطن؟ لماذا تفقد أطراف المعارضة آلية التواصل فيما بينها، ولماذا تجد قوى المعارضة نفسها أمام خيار العمل المتفرد وليس المشترك، فهل التباين الأيديولوجي هو سبب القطيعة، أم انعدام الثقة، أم غياب الألفة والتقليد السياسي الاحتجاجي، أم خلو التجربة السياسية المحلية من تراث معارضة وطنية، أم هي حداثة تجربة بعض الحركات الاعتراضية، أم ضحالة الوعي السياسي؟

أسئلة بالغة الدقة والخطورة والجديّة، ويجب أن تكون مورد اشتغال جميع الناشطين السياسيين والإصلاحيين، إذ إن غياب آلية للعمل السياسي الوطني بين القوى الإصلاحية قد يضمر خيارات أكثر نجاعة، وقد يلجأ آخرون الى بدائل من سنخ التي بحوزة الدولة نفسها، أي بتبني خيار الإنفصال وتشجيع الظواهر الإنشقاقية، لأنها وحدها التي يمكن أن تلقى قبولاً من الجمهور العام خارج نطاق رعاية الدولة، وكون ثقافة القسمة هي الثقافة المبثوثة من الدولة نفسها، فحين يقرّر الملك وكبار الأمراء (سلطان ونايف) بأن الدولة سلفية، فهم يعزلون الغالبية العظمى عن إطار الدولة، وحين تصدر فتاوى التكفير من كبار علماء المؤسسة الدينية الرسمية ضد طوائف وفئات وشخصيات غير منضوية داخل دائرة المذهب الرسمي للدولة، يصبح خيار الغالبية هو الإنفصال، إذ لا معنى لتقديم الولاء لدولة لا تحترم خياراتهم الفكرية والسياسية والإجتماعية.

لم تنجح المعارضة الوطنية في التشكّل، لسبب أساسي وهو غياب ثقافة وطنية لدى الدولة، وبالتالي قد يكون تفكيك الدولة وإعادتها إلى أجزائها السابقة خياراً موضوعياً، إذ حين يتعذر التعايش المشترك على أساس الحقوق المتكافئة والمساواة والعدالة، فإن الجماعات المنضوية بالقهر في الدولة القائمة تصبح في حلّ من أي التزامات من جانب واحد، وتصبح المصلحة وحدها المعيار النهائي لتقرير مصير الجماعات، تماماً كما هو معيار الدولة نفسها التي لم تقم إلا على تحقيق مصلحة فئوية، خاصة.

تحديات المرحلة ورهانات المستقبل

(الديك الصيني) صدق وهو كذوب!



الديك الصيني في لقائه مع الملك السعودي

تشيني في الرياض: هل هناك حرب قادمة؟

خالد شبكشي

يقول المثل: صدق وهو كذوب!
فديك تشيني، نائب الرئيس الأميركي، أو (الديك الصيني) كما يسمّيه بعض السعوديين، قال كلاماً في زيارته للسعودية الشهر الماضي، اعتبر في عداد (النصيحة الصادقة)!
وآل سعود يزعمون أنهم يحبّون الناصحين. مع أنهم لا يرغبون ـ بل ويعاقبون من ينصحهم علناً ـ ونصيحة الديك الصيني كانت علنيّة!
وربما لهذا السبب رفضوها!
قال تشيني بأن زيارته للسعودية، بل جولته الشرق أوسطية كلها، لا تستهدف حشد العرب والإسرائيليين للحرب على إيران.
وهذا صحيح، إن كانت الحرب المعنية، حرب السلاح، أما دون ذلك فهي قائمة: حرب سياسية واقتصادية واستخباراتية وإعلامية ونفسية.
وصحيح أيضاً، بأن عدم شنّ الحرب، لا يعود الى نصائح الأصدقاء والحلفاء والأدوات، سواء كان في أوروبا أو في الشرق الأوسط، بقدر ما هي قناعة لدى صانعي السياسة الأميركية بأن بلادهم ليست قادرة على شنّ حربين كبيرتين في آن واحد، وأنهم ـ وإن امتلكوا قرار شنّها ـ فإنهم لا يمتلكون أدوات إنهائها، أو منع شرورها من التوسّع، خاصة وأنها لن تكون حرباً بأقلّ من الحرب الأميركية الإحتلالية في العراق.
والسعوديون ـ على الأقل من الناحية الإعلامية ـ أعلنوا أثناء زيارة الرئيس بوش نفسه في فبراير الماضي بأنهم لا يؤيدون الحرب على إيران، وربما يكون هذا هو الرأي المعلن، أو رأي طرف من أطراف الحكم (الملك ووزير الخارجية كما يقال).. ذلك أن الجناح السديري، جناح ولي العهد سلطان، بدعم وزير الداخلية نايف وأمير الرياض سلمان، يتبنّى رأياً مختلفاً، كما تفيد التحركات السعودية وجولات بندر بن سلطان، والذي يرى ما يراه ديك تشيني بضرورة وجود حرب تخلّص المنطقة من (الشرّ الإيراني) والى الأبد، وأن السعودية تعهدت بدعم الحرب إن قامت، مع إتاحة الفرصة لها للتملّص من مشاركتها، عبر التصريح بكلام مخالف لما يجري.. تماماً مثلما فعل السعوديون في موقفهم من الحرب على أفغانستان والعراق. وقد تحدثت بعض مقالات المقربين من الإستخبارات السعودية، بأن إيران مجرّد دمّلة في وجه المنطقة، ينبغي فتقها وإخراج قيحها الى الأبد.
فالكلام المعارض يعلن، وخلافه هو ما يجري في الواقع!
وأيّاً كان الحال، فإن الطرف الإيراني قدّم تهديدات مبطّنة للسعودية ودول الخليج بأنه سيهاجم تلك الدول إن استخدمت أراضيها لشنّ هجوم عليها. مع أن تلك الدول جميعاً أعلنت حيادها وعدم تأييدها للحرب الأميركية المحتملة، لكن مَنْ من السياسيين يضمن أقوال حكام الخليج الذين لا يستطيعون مقاومة الرغبة الأميركية بالحرب إن أرادت؟
النصيحة الثانية التي حملها تشيني الى آل سعود كانت بشأن العراق.
تقول النصيحة التالي: إن غياب الدول العربية المعتدلة عن العراق يفسح المجال للنفوذ الإيراني بالتمدّد والإتساع.
وهذا صحيح، وهو أمرٌ في غاية الوضوح، وبالرغم من أنه كلام مكرر، فإن السعوديين والمصريين والأردنيين والخليجيين لا يأخذون به، إما قناعة أو تماشياً مع الرغبة السعودية. فهناك ما يشبه الحلف تقوده السعودية قائم على مقاطعة الحكم في العراق، وإسقاطه إن أمكن، وليس فقط محاصرته سياسياً وعدم الإعتراف به.
والسعودية كما هو معلوم تقوم سياستها في العراق على معطى أيديولوجي/ طائفي. أي أنها لم تعترف بالحكم في العراق، ليس لأنه غير منتخب، أو أنه لا يعبّر عن إرادة الأكثرية، ولا لأنه نظام صنعه الأميركان، ولا لأن العملية السياسية تجري تحت الإحتلال، فرأى السعوديون إغاظة الأميركيين..
كلا..
السعوديون يرون أن معركتهم في العراق مختلفة عن المعركة الأميركية.. هم يرونها معركة عقدية مع الأكثرية الشيعية، ومع الأقلية الكردية، وهم لا يعترفون بالحكم في العراق، بناء على التصنيف المذهبي فحسب، ولا لشيء آخر. لهذا كان الدور السعودي في العراق دموياً تخريبياً أفضى بفضل السعوديين التكفيريين والمال السعودي الى حرب أهلية قضت على مئات الألوف من العراقيين.
السعودية لا تبحث عن عملية سياسية متوازنة وتقاسم للسلطة بين مكونات الشعب العراقي، ولا هي معنيّة بإخراج المحتلّ من العراق، ولا سياستها

تصبّ في هذا الإتجاه. البوصلة التي تتحرك على أساسها هي (إعادة الوضع على ما كان عليه قبل سقوط بغداد). وهذا لعمري من المستحيلات، ولكن السعوديين والوهابيين عموماً لم ييأسوا بعد، وهم ماضون في سياستهم.

هذه السياسة السعودية قائمة على عدم الإعتراف بالحكم في العراق، وعدم فتح السفارات، وعدم القيام بأي جهد سياسي لتعزيز المصالحة بين فئات الشعب العراقي. وحين ضغط الأميركيون قبل عام على السعودية بأن تعيد فتح سفارتها، وندّدوا بالمقاتلين الذين ترسلهم الى هناك، وعد سعود الفيصل بفتح سفارة بلاده في بغداد (قريباً)! ولكن يبدو أن الـ (قريباً) هذه ستستمر الى أن يعود الضغط الأميركي عليهم بقوة أكبر.

الأميركيون (قد) لا يكونوا معنيين بالخلافات العقدية والصراع الطائفي في العراق (فحسب) لأنه لا يعمل لصالحهم، اللهم إلا إذا كان هدفهم هو الوصول بالوضع العراقي الى ما هو عليه، وبسياستهم الفاشلة فيه الى ما يشبه الهزيمة كما هي اليوم. ولكن الأميركيين مهتمين بالنفوذ الإيراني المتزايد والذي يضاهي النفوذ الأميركي نفسه، إن لم يكن أقوى منه.

وما كانت تقوله واشنطن لحلفائها العرب في الخليج والسعودية والقاهرة وعمّان، هو أن وجودكم السياسي والدبلوماسي في بغداد ضروري لمساندة الجهد الأميركي نفسه في اتجاه صدّ النفوذ الإيراني الذي يتعزّز في غياب العرب ومحاصرة الشعب العراقي نفسه قبل نظام الحكم العراقي الذي لا يبدو أنه يأبه كثيراً بموقف تلك الدول العربية المقاطعة لها.

بكلام آخر، فإن أميركا تريد من الحضور العربي الدبلوماسي والسياسي في العراق ليس مجرد المساهمة في حفظ الأمن وتعزيز المصالحة السياسية بين مكوناته، بقدر ما تريد من ذلك الحضور نشاطاً يحدّ من التغلغل الإيراني، بحيث يكون الوجود الأميركي العسكري، مدعوماً بالتواجد العربي السياسي الحليف، البديل النوعي للنفوذ الإيراني.

ومع أن مصر والسعودية والأردن ودول الخليج عموماً أعلنت مراراً واشتكت من النفوذ الإيراني، إلا أنها لم تقم بأي عمل يوازي ذلك، ربما لأنها أدركت بأنها غير قادرة على المنافسة المباشرة، أو ربما لأن السعودية قادتهم الى تبنّي (الحرب العقدية الطائفية) فتحدث ملك الأردن ورئيس مصر عن الهلال الشيعي، أو ربما لأن ثمن مواجهة النفوذ الإيراني يعني بالتحديد تقوية الحكم القائم في العراق وإيقاف الدعم عن جماعات العنف رجالاً وأموالاً وغطاءً سياسياً، وهذا ما لا تريده هذه الأنظمة، لأن مقاربتها مختلفة مع المقاربة الأميركية، حيث ترى السعودية وهذه الدول بأن إعادة الأمور السياسية كما كانت كفيلة بقطع اليد والرجل الإيرانية الممتدة الى قلب العراق، وإخضاع الأكثرية لحكم الأقليّة.

هذا يعني بأن السعودية ومصر وباقي دول الخليج والأردن تراهن على تغيير راديكالي جديد في العراق، يضرب عصفورين بحجر: حكم الأكثرية القائم، والنفوذ الإيراني معاً.

ولكن من سيقوم بإعادة عقارب الساعة الى الوراء، بعد أن تعب المقاتلون، وهجّر الملايين من الشعب العراقي، وتفتتت الأحزاب المقاومة وتقاتلت، كما تفتتت الأحزاب الحاكمة وتقاتلت؟

من الذي يمتلك قرار وإدارة وتمويل إعادة الأمور الى سابق عهدها وكيف؟

مال السعودية لوحده لا يكفي، ولو كان كذلك لكان المال الأميركي قد حلّ المعضل في العراق، بدل صرف ٣ تريليون دولار!

ولو كانت القوّة قادرة، لاستطاع الأميركي قبل ذلك. مع أن السعودية لا تمتلك جيشاً يعتد به لترسله لحرب العراق، وكل ما لديها قد أرسلته فعلاً: مجاميع التكفيريين الوهابيين الذين زادوا الطين بلّة.

مال السعودية والغطاء السياسي الذي توفره هي وصويحباتها توجّه أخيراً الى أياد علاوي، رئيس الوزراء السابق، ولكن كيف يستطيع مثله تغيير الوضع؟

لا يفيد في العراق اليوم لا إنقلاب عسكري، ولا حرب طائفية، ولا تمويل خارجي، ولا ثورة محتملة في تغيير الوضع القائم.

ومع هذا هناك إصرار سعودي ـ مصري ـ أردني ـ خليجي على ذات السياسة!

كلهم يرفضون فتح سفاراتهم، بحجج أمنية، فيما كل العالم فتح سفاراته في بغداد، وقد كان مخجلاً لهم أن يجدوا أحمدي نجاد يزور بغداد ويلتقي مسؤوليها وهم يتذرعون بالأمن!

لا ندري إن كان (الديك الصيني) قد أردف نصائحه للسعوديين بحزم ما، أم لا؟ الأرجح أنه لم يفعل، والسبب أن الأميركيين في العراق يرون أنهم تخطوا حاجز الخطر منذ بضعة أشهر، بعد نجاح حملتهم الأمنيّة الأخيرة، وبعد قيام مجالس الصحوة بقتال القاعدة. ربما انخفضت أهمية السعودية وباقي حلفاء أميركا في العراق، وربما يراد لهم التركيز على مواجهة حزب الله وسوريا وحماس، فالقوّة الإيرانية يوجد من يواجهها مباشرة (أميركا)، وعلى الأدوات أن تتكفّل بالباقي بالتعاون مع إسرائيل.

مشكلة مصر تبدو وكأنها أكبر من مشكلة السعودية والأردن.

فقد أصبحت مصر، بضعفها السياسي، وتراخي نظامها وهرمه، وفساده، أداة بيد السياسة السعودية. بل تدهور الوضع المصري، فأصبحت مصر قائدة العرب فيما مضى، يقودها شخص مثل ملك الأردن! تقرر السعودية أن حزب الله مغامر فينطلق الجميع مردداً الموقف نفسه؛

وتقرر السعودية الحرب على سوريا، فيبارك الجميع الأمر، وتقرر السعودية محاصرة النظام السوري، فيجتمع الثلاثة على ذلك:

ويقرر ملك الأردن في مسائل فلسطينية كبرى فيصبح الموقف المصري تابعاً، وهكذا!

لم يكن ديك تشيني في زيارته للرياض مجرد (ناصح) لحليفه السعودي، ولم يكن موضوع العراق في قائمة الموضوعات، بل يمكن القول بأنه في قعرها.

الموضوعان الأساسيان فيما يبدو هما:

إقتصادي، نفطي، حيث تريد واشنطن من السعودية استخدام نفوذها لدى الأوبك للبحث عن حلّ لإيقاف ارتفاع أسعار النفط. إما بزيادة جماعية للإنتاج، أو أن تقوم السعودية ـ مع دول الخليج الأخرى مجتمعة ـ بزيادة الإنتاج الى الحدود القصوى. تزعم السعودية أنها تنتج نفطاً قريباً من الحد الأقصى: تسعة ملايين ونصف. فيما الأميركيون يقولون بأن السعودية ـ وكما دلّت تجارب الثمانينيات الميلادية الماضية ـ أيام الحرب العراقية الإيرانية، وصلت بإنتاجها الى ١٢ مليون برميل يومياً. وتريد الولايات المتحدة من السعودية البدء بالإنتاج من حقولها المكتشفة في السنوات الثلاث الماضية، بغض النظر عن استيعاب السوق النفطية لتلك الزيادة.

هذه مسألة.. ويرتبط بها التأكيد على ربط العملة السعودية بالدولار وعدم الإنفكاك عنه، وكذلك التعامل بالدولار كأساس في تقييم أسعار النفط، وليس كعملة ضمن سلّة عملات، أو استبداله بعملة أقوى من الدولار، كاليورو أو الفرنك السويسري أو الين الياباني.

الموضوع السياسي والذي أعلن عنه له علاقة بلبنان، وهناك إشارات صحفية تفيد بأن السعودية وافقت تشيني على دعم حكومة لبنانية جديدة تتشكل بغض النظر عن موافقة المعارضة أم لا. وهناك الموضوع الفلسطيني حيث يريد تشيني من السعودية ممارسة المزيد من الضغط على عباس للإستمرار في المفاوضات، وزيادة مساهمة السعودية في دعم حكومة عباس مالياً.

ومع أن كثيرين يعتقدون بأن زيارة تشيني ـ رجل الحرب ـ الى المنطقة لا بد وأن تكون ذات أبعاد عسكرية، وأن حضوره الى المنطقة نذير شرّ، كما هي زيارات وزيرة الخارجية رايس.. فإن المؤشرات تفيد بأن الحرب القادمة قد لا تكون باتجاه إيران، بقدر ما هي باتجاه سوريا، التي تشارك واشنطن السعودية في ضرورة التخلّص من النظام القائم فيها، بعد أن أعطي الفرصة ليغير من سياسته ويفك ارتباطه بطهران وحزب الله وحماس.

هناك من بين المحللين من يعتقد بأن احتمال نشوب حرب محدودة قائماً، خاصة وأن بوش سيزور المنطقة من جديد، وبالتالي لا بد أن يكون هناك منجز ما، سياسي أو عسكري. سياسي: تقدّم ما في عملية السلام، وهو ما لا نلحظه؛ أو تدمير لقوّة حماس بصورة أو بأخرى، وهو متعذر بعد تجربة اسرائيل الأخيرة، او اختراقاً للمألوف عبر عملية عسكرية اسرائيلية أميركية ضد سوريا، وقد تشمل جنوب لبنان أيضاً.

كما هي الأنظمة العربية المعتدلة فاقدة لبوصلتها، كذلك هي الإدارة الأميركية، التي تجرب الخطط الفاشلة الواحدة تلو الأخرى.. ولربما لا يكون المنجز في زيارة بوش سوى (الربط على قلوب الحلفاء) أو ـ في حالة التشاؤم ـ صورة مطوّرة من صور (الفوضى الخلاّقة) تزرع من جديد.

الإزدواجية السعودية في لبنان

من (طائف) التوافق إلى الفتنة الطائفية

محمد السباعي

الجملة النمطية (المملكة تقف على مسافة واحدة من الأطراف كافة) لم تصمد طويلاً في لبنان، خصوصاً هذه الأيام وفي ظل الإستقطاب السياسي الحاد، الذي رسم خطّاً فاصلاً وحاسماً بين خيارين ومعسكرين، ولم يعد ممكناً التلطي وراء دعوى الحياد، السلبي منه والإيجابي، فقد باتت نبرة الخطاب السياسي المتشنّج بإفرازاته الأمنية اللاحقة محرّضاً فاعلاً على تحديد هوية الفاعلين الرئيسيين في الأزمة اللبنانية الراهنة.

منذ بدء جلسات الحوار الوطني اللبناني في الثاني من مارس ٢٠٠٦، كان التهامس حول الدور السعودي الرعوي لفريق (الموالاة) مشوباً بالحذر الإيجابي، طمعاً في التوصّل إلى تفاهم يؤول إلى تحييد المفعولات السلبية للتدخّل السعودي. كان الخط الساخن مفتوحاً بين رئيس مجلس الأمن الوطني الأمير بندر ورئيس تيار المستقبل سعد الحريري طيلة جلسات الحوار، إذ لم تعد تصريحات الحيادية السعودية في الشأن اللبناني صالحة للإستهلاك الإعلامي فضلاً عن السياسي. إذ لا يكاد يحسم موقف، سلباً كان أم إيجاباً، من أي من الملفات المطروحة على طاولة الحوار دون ضوء أخضر سعودي، يكشف عنه التراجعات الفجائية عن مواقف الحريري ـ الإبن في قضايا كانت تقترب من نقطة التوافق. لا يعني ذلك تبرئة الدور السوري غير النزيه هو الآخر، فمازالت دمشق رقماً صعباً في المعادلة اللبنانية.

لم يكتب للحوار الوطني أن يستكمل جلساته، في ظل توافقات شكلية داخلية وعابرة تتناقض مع ترتيبات خارجية إنقضاضية. نتذكر الرحلات المكوكية التي كان زعيم اللقاء الديمقراطي وليد جنبلاط الى واشنطن وكذلك زعيم تيار المستقبل سعد الحريري الى الرياض والقاهرة وعمّان، والتي عكست عدّم جديّة الحوار الوطني رغم إصرار رئيس مجلس النواب نبيه على التبشير بمنجز (العيديّة) أول مرة، و(البحصة) المستورة في مرحلة لاحقة.

مهما تكن الأسباب، إنقطعت الوصلة الحوارية في ١٢ تموز ٢٠٠٦ بين الأفرقاء اللبنانيين، إثر إقدام الدولة العبرية على شن عدوانها الوحشي على لبنان، وجاء البيان السعودي الذي وصف خطف الجنديين الإسرائيليين بـ (المغامرة)، وتحميل حزب الله مسؤولية ردود الأفعال الناجمة عنه، وهو بيان إنفرد في صوغه الأمير بندر وحمّله على حكومة بلاده، ليضع الأخيرة في مواجهة مباشرة ومعلنة مع المقاومة اللبنانية وجمهورها في داخل لبنان وخارجه. وخلال ثلاث وثلاثين يوماً من الحرب، كان الخطاب المذهبي في الإعلام السعودي يعمل بلا انقطاع لتغطية الموقف السعودي الفاقد لأدنى حكمة، وأعيد بعث التراث السجالي المنتج في عقد الثمانينات من القرن الماضي، من أجل تطويق الدعم الشعبي العربي والإسلامي للمقاومة في لبنان.

> **أرسى تحذير السعودية من السفر إلى لبنان معادلة (التخويف) من حرب أخرى، ومعه التدابير اللاحقة: البوارج، التكّهنات، التسليح الداخلي**

لم يربح الرهان السعودي في الحرب، وشكّل إنتصار حزب الله صدمة مفزعة لكل من راهن على هزيمتها، ورغم محاولات (تهزيم) المقاومة في الحرب، عبر تكثيف الضوء على مشهد الدمار في الضاحية الجنوبية وقرى الجنوب والبقاع، ولكن خلف الكواليس السعودية كان يدور حديث آخر خلاصته (لقد خسرنا الرهان). لم تكن عبارة الملك عبد الله عن السيد حسن نصر الله بأنه (إبننا) من قبيل المجاملة البدوية، فقد حملت في باطنها إعجاباً مستوراً بقيادته وشجاعته.

محاولات تطويق إنتصار المقاومة في لبنان لم تتوقف، فقد لعب الأمير بندر بن سلطان دوراً إستثنائيا لجهة صنع واقع بديل، يحدّ من تداعيات الإنتصار على المستويين العربي والإسلامي. ولم يكن محض صدفة إنعقاد سلسلة لقاءات بين الأمير بندر ومسؤولين إسرائيليين، من بينهم رئيس الموساد مئير دوغان، في الاردن في سبتمبر وديسمبر ٢٠٠٦، وكانت تدور حول ضرورة التوصّل إلى إتفاقية حاسمة للسلام، تقلب المشهد السياسي في المنطقة. ولم تكن من قبيل الصدفة أيضاً، أن يتقاطر عناصر (فتح الإسلام) ذات العلاقة الحميمية مع شبكة القاعدة الى لبنان مباشرة بعد انتهاء الحرب، حيث كانت تستعد لخوض حرب داخلية تحيك خيوطها، وتمدّها بالمال والخطط عواصم الاعتدال بقيادة السعودية.



علاقات متوترة انعكست على لبنان

في غضون ذلك، إنطلقت جلسات التشاور في نوفمبر ٢٠٠٦، في ظل تصدّع خطير في جدار الثقة بين الفرقاء المشاركين، عقب حرب مصيرية سقطت فيها رهانات وأهداف طموحة كالتي عبّرت عنها وزير الخارجية الأميركية رايس بولادة شرق أوسط جديد. بدأت المعارضة تطرح، وبقوة، الثلث الضامن، فيما شهرت الموالاة مجدداً سلاح المحكمة الدولية. وفي كل مرة، يخفق فيها الطرفان في التوصّل إلى حل توافقي، كان (الخارج) جاهزاً للحسم، وإن تطلب أحياناً (ضحية) في الداخل. فثمة (جنازة سياسية) مطلوبة لإزالة إنسداد أفق الحل في الداخل، لتحريك المجتمع الدولي، وتبرير صدور قرارات دولية.

الفتنة المذهبية كانت فصلاً آخر، لم يكن غائباً في التجاذب الداخلي. فالتنظيمات السلفية المسلّحة التي تسلّلت بكثافة عالية عبر الحدود الجوية والبرية إلى داخل لبنان في الفترة ما بين تشرين الثاني

وكانون الأول ٢٠٠٦، مثّلت الإحتياطي الإستراتيجي لأطراف محلية لبنانية وخارجية خليجية وأميركية. وقع الإختيار على شاكر العبسي، الضابط في المخابرات العسكرية الأردنية، الذي انتقل من الأردن بطائرة خاصة الى بيروت، حيث مكث أياماً في مخيم برج البراجنة، لينتقل بعدها الى عين الحلوة في محيط صيدا، في مهمة تجنيد أنصار من فلول التنظيمات الفلسطينية التي بقيت دون رعاية معيشية، لينتقل بعدها إلى مخيم نهر البارد في الشمال اللبناني عبر غطاء موالاتي أمني. قدّمت أيضاً الى لبنان مجموعات سعودية من منفذين جويين: دبي والمنامة في الفترة ذاتها، لتنفيذ مهمة خاصة، أوهموا بأنها لحماية (أهل السنة في لبنان!). وللمرء تخيّل كيف دخل العنوان المذهبي بعد حرب يوليو ٢٠٠٦، بعد أن كان غائباً، سوى ما يتم تهريبه من الخارج كتداعيات للوضع العراقي غير الملزم لأحد.

تفاصيل المواجهات بين مقاتلي (فتح الإسلام) والجيش اللبناني منذ البداية وحتى الخاتمة باتت معروفة، ولكن ما تم إغفاله أن ثمة توجيهاً مقصوداً لإدماج القضية ضمن لعبة المحاور، فيما كانت كثافة التمثيل السعودي، كماً ونوعاً، بين جماعة فتح الإسلام، كفيلة بفتح نافذة واسعة على مخطط له ذيول خارجية غير منظورة. قصص عوائل الضحايا من السعوديين تلفت إلى أن ثمة (أمر عمليات) صدر

ما كانت تقوم به السعودية يخرج عن حدود المشكلة المراد معالجتها لبنانية أو سورية أو إيرانية فثمة بعد خارجي مستور

على نحو فجائي لأبنائهم، الأمر الذي جعل اختفاءهم مستغرباً، تماماً كما هو شأن فنائهم الذي مازال أولياء الأمور يبحثون عن أسراره.

على أية حال، ليس هناك غير الجيش اللبناني من هو قادر على الكشف عن نتائج التحقيق مع المعتقلين من عناصر فتح الإسلام، ويبقى الكلام حول مصير العبسي، الذي يقول مصدر أمني أردني بأنه مذخور لمهمة أخرى، قد تكون إشعال حرب المخيمات الفلسطينية في لبنان أحد الخيارات المطروحة في حال فشل الأطراف الخارجية في كسر إرادة (المعارضة) اللبنانية والقبول بخيارها السياسي.

في التصعيد السياسي والأمني الحالي ما يلفت إلى التجاذبات الخارجية، فالسعودية التي عارضت أية تسوية فرنسية ـ سورية حول لبنان، ونجحت في إفشالها عبر صفقة عسكرية سخيّة مع فرنسا، في سياق تحرّك أميركي مواز يديره ديفيد ولش وإليوت أبرامز على قاعدة أن لا حل في لبنان يؤول إلى منح المعارضة الثلث الضامن، كان الطريق الى القمة العربية في دمشق شديد الوعورة منذ انطلاق جولة الموفدين السوريين الى العواصم العربية لتسليم الدعوات. فقد خضع قرار المشاركة السعودية في القمة للمساومة السياسية على لبنان، وليس الربط المفتعل من قبل أمين عام الجامعة العربية عمرو موسى بين نجاح (المبادرة) الخاصة بملف الأزمة اللبنانية، وانعقاد القمة العربية في دمشق سوى كشفاً غير مقصود عن إنحيازية واضحة لفريق لبناني على حساب آخر، تماماً كما أن الخطاب الناري الذي أطلقه سعد الحريري في الثامن من فبراير الماضي، ثم أضفى عليه وليد جنبلاط بعداً عملانياً في العاشر من فبراير، لينتهي إلى إشكالات أمنية إستعراضية في عاليه، وبيروت، والشمال، والبقاع، سوى رسالة سعودية واضحة للمعارضة من أجل الإذعان لعرض الأمير سعود الفيصل على السوريين بالقبول بصيغة الـ ١٣ + ٧+ ١٠، وهو عرض ليس بمقدور السوريين فرضه على المعارضة، المتمسّكة بالثلث الضامن. ما لا يود الأمراء السعوديون رؤيته في لبنان، أن يسقط رهانهم ثانية، بعد رهان حرب تموز.

إن أخطر ما يواجه السعوديين في لبنان هو انفلات أمني على أيدي حلفائهم. فثمة ربط من نوع ما بين الخطاب الفتنوي الذي بات ملتحماً بالدور السعودي في لبنان وزيارة حلفائها الى الرياض، الأمر الذي يجعل طائف التوافق في مهب الفتنة الداخلية تحت الرعاية السعودية، وحينئذ تصبح المسافة الوازنة حجماً طائفياً.

كان تحذير السعودية لرعاياها من السفر الى لبنان عنصر الشؤم الذي أرسى مرحلة قلق جديدة، تم وضعه لاحقاً في سياق الحرب النفسية التي اشتعلت بخطة متقنة كأحد أدوات الضغط التي لجأت إليها السعودية وحلفاؤها في معسكر الاعتدال على المعارضة اللبنانية وحلفاؤها السوريين والإيرانيين. تحذير السعودية جاء منسجماً مع البوارج الأميركية في البحر المتوسط، وبالتقارير والتصريحات المكثّفة التي وردت من كل الإتجاهات الى الداخل اللبناني من أجل إشاعة جو هلع بين جمهور المقاومة، وتخويفهم من حرب إسرائيلية ستكون أشد شراسة من الحرب الأخيرة، وقد بلعت قيادات المعارضة طعم (التخويف) لتنقله إلى جمهورها، مع رواج أنباء عن مناورات عسكرية إسرائيلية على الحدود الشمالية، وحملات التسليح الكثيفة لبعض الفرق اللبنانية المعروفة بماض ميليشياوي مثل (الحزب التقدمي الإشتراكي، والقوات اللبنانية)، وحملات الضغط الدولية على سوريا وإيران، فيما كانت الإمبراطورية الإعلامية السعودية تعمل بأقصى طاقتها من أجل تلبيد الأجواء النفسية اللبنانية بهدف الترويع من حرب مقبلة، التي بات يعرف اللبنانيون أطرافها المحليين والإقليميين والدوليين، وبتفصيل أكثر ستكون حرباً تشارك فيها الولايات المتحدة والدولة العبرية، وتباركها دول الإعتدال العربي، ويتواطؤ فيها فريق


الحريري: لأزال سعودي الإنتماء والهوية!

السلطة في لبنان.

جرّبت السعودية أكثر من إختبار لإمكانية إستدراج الوضع اللبناني الى حيث تملي عليه خياراتها، من خلال إشعال توترات أمنية في شوارع بيروت، بعد أن أخفقت في إشعال مخيمات فلسطينية أخرى بعد مخيم (نهر البارد).

لم يكن من قبيل النافلة تشديد من اجتمعوا في نهاية فبراير الماضي في مديرية مخابرات الجيش اللبناني لمنع المواجهات بين الموالاة والمعارضة على (أن لا قرار بإشعال فتنة مذهبية)، وكأن هناك من يرى العنصر المذهبي في المعادلة الأمنية الجديدة. فمهما كانت محاولات تشتيت الإنتباه حول مصدر إندلاع الفتنة، فإن السعودية تبقى الأقدر على تثمير وتفجير العامل المذهبي في خلافاتها سواء مع إيران، أو سوريا، أو في العراق أو لبنان، بل قد تنقله إلى فلسطين، رغم غياب الأرضية المذهبية المناسبة.

كل ما كانت تقوم به السعودية في الشهرين الماضيين يخرج عن حدود المشكلة المراد معالجتها سواء كانت لبنانية أو سورية أو عراقية أو إقليمية، فقد بات المراقبون متّفقين على أن ثمة بعداً خارجياً


جنبلاط.. أيّ دور أوكلته له السعودية؟

للدبلوماسية السعودية، ويعبّر عن توجّه سعودي جديد يتناغم مع تموضعها السياسي الجديد في الإستراتيجية الأميركية، وشبكة التحالفات الجديدة التي انبتت بعد حرب يوليو ٢٠٠٦، وضمّت إليها الدولة العبرية.

جولة سعود الفيصل الدولية كانت هي الأخرى جزءاً من مشروع دولي، لمواجهة تيار آخر في المنطقة، ومن المنطقي إدراج الدور السعودي الأميركي الإسرائيلي في الأزمة اللبنانية بل وأزمات المنطقة عموماً في سياق مشروع مشترك. وعلينا أن نراقب ما ستأتي به القمة، لنعرف طبيعة ومسار التحركات السعودية في المرحلة المقبلة والتي لن تخضد شوكتها إلا بتفكك معسكر الإعتدال.

مجتمع يزداد فقراً في بلد يزداد غنىً

الأمراء يعِدون بالمزيد من البطالة والتضخم

سعد الشريف

راجت في الفترة الأخيرة مقارنة للوضع المعيشي العام بين دول الخليج على شبكة الإنترنت، في إشارة واضحة على الإستياء المتصاعد من الأوضاع الأقتصادية الذي يعاني منه سكان السعودية، بالرغم من الطفرة النفطية غير المسبوقة في تاريخ الدولة. في هذه المقارنة، تتموضع السعودية في المرتبة الأدنى خليجياً من حيث قلة الأجور، وارتفاع الضرائب، وانعدام نظام الرعاية، والمعونات المالية التي تقدّمها الدولة للمواطنين والعاطلين عن العمل، ومنح الأراضي، والأثمان الباهظة لفواتير الماء والكهرباء والهاتف.

في الإمارات، على سبيل المثال، فإن الحد الأدنى للراتب الأساسي في القطاعين العام والخاص هو ٨٥٠٠ ريال سعودي، فيما يحصل العاطل عن العمل على راتب قدره ٣٧٠٠ ريالاً سعودياً، إلى جانب إمتيازات ومعونات يحصل عليها المواطن الإماراتي من قبيل منحة الزواج بقيمة ٥٠ ألف ريال، وأرض مجانية فورية لكل متزوج وقرض سكني بلا فوائد وقدره مليون ريالاً، يتم تسليمه خلال أسبوع من اعتماد عقد الزواج، إلى جانب راتب لكل مولود بقيمة ٣٠٠ ريال شهرياً وحتى بلوغ السن ١٨. في مجال التكاليف الخاصة بالخدمات، فإن قيمة رخصة القيادة هي ١٠ ريالات سعودية، أما تكلفة إستهلاك الكهرباء فهي ٣٠ ريال شهرياً، فيما يتم تقديم الماء مجاناً.

في عمان، الذي يصنّف في المرتبة الخامسة من حيث الإنتاج النفطي والأقل دخلاً على المستوى الخليجي، فإن الحد الأدنى للراتب الأساسي في القطاعين العام والخاص فهو ٧١٥٠ ريال سعودياً، فيما يحصل العاطل عن العمل على راتب مقداره ٢٠٠٠ ريال، ويحصل المتزوج على ٤٠ ألف ريالاً، إضافة الى أرض وقرض قدره نصف مليون ريال، يتمّ تسليمه في مدّة أقصاها ٦ أشهر من تاريخ إعتماد عقد الزواج. أما تكلفة النفقات الخدمية، فإن المواطن العماني يحصل على جواز سفر ورخصة قيادة السيارة وكذلك الماء بصورة مجانية. أما الكهرباء فهناك سعر ثابت بقيمة ٩٠ ريال.

بالنسبة لقطر، فإن الحد الأدنى للراتب الأساسي في القطاعين الخاص والعام هو ٩ آلاف ريال، فيما يحصل العاطل عن العمل راتباً مقداره ٥ آلاف ريال، ويحصل المتزوّج على منحة بقيمة ١٠٠ ألف ريال، إضافة إلى أرض وقرض بقيمة مليون ونصف المليون ريال، وذلك بعد يومين من توقيع عقد الزواج. ويحصل كل مولود على ٥٠٠ ريال، لأول ٤ مواليد، حتى بلوغ سن الخامسة عشر. ويحصل المواطن القطري على خدمتي الكهرباء والماء والهاتف الداخلي بصورة مجانية، إلى جانب هدية رمضان وعيد الفطر بقيمة ٥ آلاف ريال، وهدية عيد الأضحى بقيمة ٢٥٠٠ ريال.



أموال النفط في جيب آل سعود

في الكويت، يصل الراتب الأساسي في القطاعين العام والخاص إلى ٨ آلاف ريال، ويحصل العاطل عن العمل على مرتب مقداره ٣ آلاف ريال، ومنحة لكل متزوج بقيمة ٧٠ ألف ريال، إضافة الى أرض وقرض قدره ٧٠٠ ألف ريال، يتم تسليمه خلال سنتين من توقيع عقد الزواج، فيما تتكفل الدولة بدفع إيجار السكن خلال فترة الإنتظار. ويتم تخصيص مكافأة مالية عن كل مولود بقيمة ٣٥٠ ريال لأول مولودين. وفي مجال الخدمات العامة، تقوم الدولة بإيصال الماء إلى السكّان بصورة مجانية، أما تعرفة الكهرباء فثابتة وهي ٤٠ ريال، قد ترتفع في فصل الصيف. وتحصل كل عائلة كويتية على هدية رمضان تصل إلى ألفي ريال، يضاف إليها ألفان ريال في عيد الفطر، وتقدّم هدية بنفس القيمة في عيد الأضحى واليوم الوطني.

بالنسبة للبحرين، الدولة غير النفطية في مجلس التعاون الخليجي والأشد فقراً والتي تعتمد في ميزانيتها على معونات شقيقاتها في مجلس التعاون الخليجي وخصوصاً الكويت والإمارات العربية المتحدة والسعودية، فإن الحد الأدنى للراتب الأساسي في القطاع العام هو ألف ريال، ويحصل المتزوّج على أرض وقرض بقيمة ١٥٠ ألف ريال، خلال خمس سنوات، وفي حال عدم حصوله عليهما حتى انتهاء المدة المقرّرة، تتكفّل الدولة بتسديد إيجار السكن.

أما السعودية، ذات الإحتياطي الأعلى في العالم، وبدخل يومي يصل إلى مليار دولار، فإنها تفتقر حتى الآن لحد أدنى معلن للأجور في القطاعين العام والخاص، كما لا يوجد مخصص شهري للعاطل عن العمل. ويحصل المتزوّج على مساعدة بقيمة ٣٠ ألف ريال،

ولكن بموجب شرطين: وجود كفيل وتوقيع على أوراق تقضي بتسديد المبلغ خلال فترة محددة.

ويحصل المواطن على قرض سكني بقيمة ٣٠٠ ألف ريال، بعد فترة طويلة من الإنتظار تصل الى ٢٥ سنة من تقديم الطلب. وتفرض قوانين الإقراض على المتقدّم إمتلاك أرض.

مجتمع الفقراء

أما تكلفة الخدمات مثل الكهرباء والماء والهاتف فتعتبر قياسية على مستوى الشرق الأوسط.

في التفاصيل، فإن معدّل التضخّم في السعودية بلغ سبعة في المئة في يناير الماضي مسجّلا أعلى مستوياته في أكثر من ربع قرن، فيما دفعت الإيجارات وتكلفة المواد الغذائية الأسعار للإرتفاع للشهر العاشر على التوالي.

زيادة أسعار النفط إلى ما يفوق خمس أمثالها منذ عام ٢٠٠٢، لم تمنح السعودية قدرة على مواجهة الضغوط التضخمية في ظل ربط عملتها بالدولار الاميركي الضعيف الذي دفع أسعار بعض الواردات صعوداً.

وأظهرت بيانات الادارة المركزية للاحصاءات في نهاية فبراير الماضي أن الإيجارات زادت ١٦.٧ في المئة في يناير. وقال جون سفاكياناكيس كبير الإقتصاديين في بنك ساب التابع لمصرف اتش.اس.بي.سي أن تكلفة السكن كانت المحرك الرئيسي للتضخم الذي بلغ اعلى مستوياته منذ عام ١٩٨١. وقال (أصبح من الواضح أن المكوّن الإيجاري بات له تأثير صعودي أكبر على التضخم من أي بند آخر. لازال الطلب يتجاوز العرض وفي مناخ ترتفع فيه الأسعار لا يبدو أن الإيجارات في مرحلة تتيح لها التراجع). وقال سفاكياناكيس أن الطلب على المساحات الإدارية فقط زاد بنسبة ١٣٠ في المئة في عام ٢٠٠٧. وأظهرت بيانات إدارة الإحصاءات أن مؤشر تكلفة المعيشة بلغ ١١١.٧ نقطة في ٣١ يناير الماضي مقارنة مع ١٠٤.٤ نقطة قبل عام. وزادت الأسعار ١.٣٦ في المئة في يناير مقارنة مع مستواها في ديسمبر مسجلة اعلى زيادة شهرية في تسع سنوات على الأقل.

ويبلغ معدل التضخم في ديسمبر ٦.٥ في المئة، فيما أطلقت العلاوة في المرتبات الشهرية بنسبة ١٥ بالمئة جنون الأسعار وغلاء المعيشة للعاملين في القطاع الحكومي، حيث زادت الأسعار بنسبة ٤٠ بالمئة في الحد الأدنى. وفيما تضيع الأصوات المطالبة بفصل الريال عن الدولار، واعتماد سلة العملات، فإن ربط الريال السعودي بالدولار الاميركي يرغم السعودية على أن تحذو حذو السياسة النقدية الأميركية في وقت يخفض فيه مجلس الإحتياطي الإتحادي (البنك المركزي الاميركي) أسعار الفائدة لتفادي إنحسار إقتصادي.

واظهرت بيانات إدارة الإحصاءات أن أسعار المواد الغذائية والمشروبات التي تأثرت بزيادة الأسعار العالمية للسلع والعملة الأضعف إرتفعت بنسبة ١٠ بالمئة في مارس الماضي. ووفقا لبيانات مؤسسة النقد العربي السعودي (البنك المركزي): إستوردت السعودية في العام الماضي ٢٥ في المئة تقريبا من احتياجاتها السلعية من أوروبا و٨.٤ في المئة من اليابان و١٣.٤ في المئة من الولايات المتحدة. وهبط الدولار الأميركي المثبت سعر صرفه مقابل الريال السعودي منذ ٢٢ عاما إلى مستويات قياسية أمام اليورو وسلة عملات رئيسية في نوفمبر الماضي.

ولم تخفض السعودية سوى سعرها لإعادة الشراء العكسي الذي تسترشد به البنوك عند تحديد أسعار الودائع رداً على تخفيضات الفائدة الاميركية بينما تركت سعر إعادة الشراء الأساسي أو سعر الإقراض دون تغيير عند ٥.٥ في المئة. ورفع البنك المركزي السعودي أيضا متطلبات الإحتياطي مرتين في شهرين لإرغام البنوك على الإحتفاظ بمزيد من الأموال في مسعى لإبطاء معدل نمو الإئتمان وهو محفز آخر للتضخم.

في مواجهة التحديات الإجتماعية المستقبلية لا تبدي السعودية إستعداداً جديّاً لمواجهتها من خلال خطط إقتصادية شاملة. ففي الوقت الذي لم تقدّم الحكومة السعودية حلولاً جذرية لمشكلتي البطالة وأزمة السكن، فلم تخبر التقارير الرسمية أو الدولية المحايدة عن انخفاض في معدّل البطالة التي تجاوزت ٢٠ بالمئة، فيما لا يزال أكثر من ٦٠ بالمئة من السكان يقطنون في بيوت مستأجرة (أي ثمانية ملايين) مقارنة بعدد المواطنين والمقدر بـ ١٤ مليون نسمة. وفي دراسة أعدّتها شركة (موطن) العقارية بالرياض في فبراير الماضي عن سوق العقار السعودية، وتتناول معطيات إستراتيجية عن السوق العقارية. وقدّمت الدراسة مسحاً ميدانياً لثلاث مدن رئيسية تصل فيها نسبة النمو في أعداد السكان الى ٤ بالمئة سنوياً، لجهة تحديد الشرائح المستهدفة وطبيعة الطلب والإحتياجات في إقبالهم لشراء وحدات سكنية في مختلف أنواعها، بالنظر إلى الإنفاق السنوي للأسر في المدن الرئيسية، وتطور إعداد رخص البناء ودراسة وتحليل طبيعة وظروف المنافسة وسلوكيات واتجاهات الشرائح المستهدفة، لتحديد مستوى الطلب على شراء الوحدات السكنية.



مملكة الفقراء

ويتوقع عدد من الخبراء أن تكون هناك حاجة الى بناء ٢.٩ مليون وحدة سكينة خلال العقدين القادمين، فيما قدّر هؤلاء أعداد المساكن التي يجب إعادة بناؤها في الفترة نفسها بنحو ١.١ مليون وحدة سكنية.

ويرجع ظهور الأزمات الإسكانية إلى

نقص الوحدات السكنية التي لا تتوفر للسكان والمحاولة لإيجاد البرامج والبدائل لزيادة المخزون وتحسين الأوضاع السكنية، وخاصة لذوي الدخل المحدود والمنخفض، وكذلك إلى الحد من الارتفاعات الخيالية للتكاليف الإسكانية.

وينظر خبراء إقتصاديون الى التضخم والبطالة والدولار بوصفها أخطر التحديات التي ستواجه السعودية في السنوات القادمة بالرغم من الفائض الهائل في الميزانية العامة. فبالرغم من النمو الإقتصادي الذي بلغ نحو ٥.٧ بالمئة عام ٢٠٠٧، فإن أي تراجع لأسعار النفط سيعكس نفسه مباشرة على مستوى النمو ككل، وخصوصاً على ملفات ساخنة مثل البطالة والتضخم والموقف من الربط العضوي بين الريال والدولار.

عوائد النفط التي مازالت تشكّل ٩٠ بالمئة من إجمالي الدخل السعودي، وقد سجّلت الميزانية العامة خلال السنوات الثلاث الماضية فائضاً كبيراً في نهاية السنة المالية بفعل التسعيرة المخفضة التي تعتمدها للنفط، بين ٤٥ ـ ٦٠ دولاراً خلال السنوات الثلاث الماضية.

وكان المصرف السعودي البريطاني، (ساب) قد قدّر أن تكون الرياض قد حصدت أكثر من ١٦٥ مليار دولار كعوائد نفطية خلال العام ٢٠٠٧، وهو رقم أكبر بـ ١١٨ في المائة من كامل الدخل الوطني للإمارات العربية المتحدة للعام ٢٠٠٦، وأكبر بخمس مرات كامل الدخل الوطني لقطر عن العام نفسه.

الأشجار مأوى لهم في مملكة النفط!

ورغم الطفرة الحالية، التي قادت نمو السعودية إلى مستوى ٥.٧ في المائة، فإن البلاد ما تزال تواجه مشاكل جدية، أبرزها مستويات البطالة المرتفعة. وتشير إحصائيات الإدارات الرسمية إلى أن جهود خلق الوظائف دخلت في سباق حقيقي مع الواقع الديمغرافي للبلاد، حيث من المتوقع أن يزداد العدد الإجمالي للسكان بمقدار ٤٠ في المائة بحلول العام ٢٠٢٠، مما دفع تلك الدوائر إلى الدعوة للدفع باتجاه دعم وجود قطاع خاص قوي وفاعل منعاً لظهور أي مشاكل إقتصادية وإجتماعية على المدى البعيد.

ويشكل التضخم همّاً إضافياً في السعودية. ففي يناير الماضي، سجّلت تكاليف المعيشة أعلى ارتفاع لها منذ ٢٧ عاماً، بمعدل سبعة في المائة، ومن المستبعد أن تتراجع هذه النسب في الفترة المنظورة.

ويشكّل ملف الربط بالدولار جانباً شائكاً أيضاً من الإقتصاد السعودي، وقد سبق أن خرجت أصوات ذات مصداقية على المستوى الإقتصادي، وفي مقدمتها المدير السابق للمصرف الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي، آلان غرينسبان، للمناداة بأن فك إرتباط الريال السعودي بالعملة الأمريكية المتدهورة سيحدّ من التضخم. لكن الرياض ترفض عملياً النظر في هذا الخيار، وليس أدل على هذا الموقف مما قاله محافظ مؤسسة النقد العربي السعودي، حمد السياري، أمام مجلس الشورى خلال جلسات الإستماع المخصّصة للملف الاقتصادي حول هذا الموضوع.

فقد حذر السياري من أن ما وصفه (الحلول السهلة) قد تكون (كارثية) على المدى البعيد، وفي الواقع، فإن مؤسسة النقد تراهن على أن المبالغ التي خصّصتها لتحسين التأمينات الإجتماعية وزيادة الدعم على بعض المواد وتحديد الإقراض (ستؤتي أكلها) خلال الأشهر المقبلة.

إن الوعود المأمولة على المدن الإقتصادية مثل مدينة الملك عبد الله من أجل استيعاب مليوني ساكن ومليون موظف، مازالت في مرحلة الحلم، (حيث من المقرر الانتهاء من إنشاء المدينة بحلول العام ٢٠١٦ بكلفة ١٠٠ مليار دولار)، فيما لا مؤشرات حقيقية على إنجاز المشروع بهذه السرعة، فضلاً عن إمكانية تقديم حلول ناجعة لمشكلات تزداد خطورة واتساعاً.



العيش في بيوت التنك

في السياق نفسه، فقد أقال الملك وزير التجارة والصناعة الدكتور هاشم يماني في ٤ مارس الماضي وعيّن بدلاً منه رجل الأعمال المعروف عبد الله علي رضا. وذكرت مصادر مقرّبة من العائلة المالكة بأن قرار عزل الوزير جاء بعد موجة الغلاء وتسببت في سخط شعبي متصاعد. فقد شهدت السلع الأساسية كالأرز وحليب الأطفال زيادة مضطردة.

وينظر مراقبون الى قرار إقالة الوزير بأنه يوحي بعدم جديّة الملك في معالجة الأسباب الحقيقية للمشكلات الإقتصادية والمتمثلة في تفشي الفساد المالي، وصفقات الأسلحة التي أبرمتها الرياض مع باريس ولندن وبرلين وواشنطن، بالرغم من النداءات المتكررة بوقف هدر المال العام في صفقات تسلّح غير مجدية وليست قابلة للإستخدام في مهمات دفاعية فضلاً عن المهمات القتالية، وهي نصيحة كانت الإدارة الأميركية في عهد الرئيس بوش الأب قدّمها للملك فهد من أجل معالجة الأزمة الإقتصادية التي تواجهها السعودية بعد نضوب الإحتياطي المالي في الخارج.

في هذا السياق، تبدو لعبة (كبش الفداء) صالحة، ومازالت تحتفظ بشعبية لدى العائلة المالكة، فقد سقط رئيس بورصة الأسهم علي الجماز في جولة مشابهة، بعد أن تمّ تحميله مسؤولية إنهيار سوق الأسهم، فيما يكتنز الأمراء الكبار والصغار من الزيادة المالية غير المسبوقة لأسعار النفط، إلى حد أن عدداً من الأمراء بات يملك ثروة تفوق ميزانيات دول إن لم يكن منظومة دول.

رفض تجريم الإساءة للأديان

رفض مجلس الشورى التوصيات الدولية بتجريم الإساءة للأديان، بذريعة أن التوصيات تملي إعتراف الحكومة بما تعتبره أديان المشركين. فقد عارض ٧٧ من أصل ١٥٠ عضواً في مجلس الشورى، الذي لا يملك أية صلاحيات تشريعية، التوصية، فيما أعلن ٣٣ عضواً فقط عن تأييده.

وينص الإقتراح بأن وزارة الشؤون الخارجية السعودية إلى جانب المجموعة العربية والإسلامية في هيئة الأمم المتحدة ستتبنى توصية دولية تمنع الإساءة لكل الأديان والشخصيات الدينية بأي شكل من الأشكال.

طلال بكري، عضو مجلس الشورى، عارض الخطوة قائلاً بأن التوصية تعني إعترافاً كاملاً بـ (عقائد المشركين)، وعليه سيسمح بتأسيس مراكز عبادة لغير الموحدين في بلدان المسلمين. وقال خليل الخليل لصحيفة (الوطن) بأن (هذه التوصيّة فخ خطير ربما تكون آثاره السلبية على المسلمين أكثر من غيرهم، لأن كثيرا من المسلمين بجهل أو تشدد يسيئون لغيرهم من المنابر. وذكر عدداً من الإعتبارات التي تجعله يعارضها، أهمها أن هذه الفكرة تتعارض مع الحريات الفكرية في المفهوم العالمي، وبين أن النقد للإسلام والمسلمين في حالة المد الإسلامي الموجود في الغرب أمر طبيعي). وقال الخليل (ربما تتعرض الأقليات المسلمة بسبب التوصية لو أخذ بها لكثير من العراقيل والمشاكل، وأوضح أن التوصية تحمل بعض المصطلحات مثل الأديان، والرموز الدينية)، لافتا إلى أن مفهومهما يختلف من دولة لدولة ومن حضارة إلى أخرى، فالبوذية والقاديانية والبهائية تعتبر ديانات عند البعض. وتساءل (هل يلزم المسلمين إحترام تلك الديانات وعدم نقدها؟).

المهندس محمد القويحص عبّر عن إستيائه من إسقاط توصيتة بمناقشة التوصية بعد موافقة ٧٧ عضواً على مبدأ المناقشة، وعلق (يجب احترام وجهات النظر وهذا مبدأ الشورى). مشيرا إلى أنه لم يقتنع بسقوطها، وأوضح القويحص أن الدافع وراء تقديم التوصية هو إقدام البعض على الإساءة المستمرة للإسلام بصفة عامة والرسول صلى الله عليه وسلم بصفة خاصة، من رسوم كاريكاتيرية وأفلام تعرض في أمريكا وهولندا، مبيّناً أن القضية بدأت تتوسع في أكثر من إتجاه. وأشار القويحص إلى أن معالجة المشكلة بدل المظاهرات وبيانات الاستنكار والتهديدات تكون باتباع أسلوب منهجي للمعالجة، وذلك عن طريق اتفاقية دولية تحرم الإساءة للأديان السماوية، ويكون هناك إتفاق جماعي على عدم الإساءة، وبالتالي ينتهي الموضوع من جذوره. وقال القويحص (إن الغرب أساساً، للأسف الشديد، لديه ما يسمى بحرية النشر والآراء ولكن إذا كان هناك أنظمة تحرّم بعض المواضيع فلا أحد يجرؤ على أن يمس تلك النقاط)، مشيراً إلى أن هذا هو الهدف الأساسي من تقديمه تلك التوصية.

رئيس مجلس الشورى الدكتور صالح بن حميد اعتبر القضية المطروحة (كبيرة جدا على مستوى العالم)، وطالب الأعضاء بالتأني في نقاشها، وقال (إن المجلس يناقش مدى ملاءمة التوصية للظروف وفهم الآخرين لها وأبعادها وحساسيتها بمعنى نملك أو لا نملك، ضعفنا، قوتنا، مدى التزام الأمم بالإتفاقية). وأضاف حميد (فحينما يقول زميل أنا ضد فهو ليس ضد المبدأ ولا الدين ولا الرسول ولا القرآن، متمنياً أن يفهم ذلك وينقل بالشكل الصحيح، وأرجو أن يعذر المسلمون بعضهم بعضا، وأن يحملوا كلام إخوانهم على الحق).

ووصف الشيخ علي الحكمي التوصية بأن ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، مؤكدا تصادمها مع النصوص القرآنية وأوضح أن المسلمين في حالة ضعف ولا يلزمهم اتخاذ هذا الموقف، أما العضو حمد القاضي فأكد عدم تأييده للتوصية والتركيز في نفس الوقت على الجانب الاقتصادي، وتشجيع المقاطعة الاقتصادية. فيما أكد عائض الردادي أنه كان يؤيدها بعاطفة وطلب المداخلة من أجل ذلك وعارضها بعد استماعه لمداخلات زملائه.

وكانت أغلبية المداخلات معارضة لتلك التوصية على الرغم من تعديل القويحص لها عقب تقديمها للمجلس حيث حذف الشخصيات والرموز الدينية واكتفى بالأديان السماوية والرسل والأنبياء.

السماح بقيادة المرأة.. ولكن!

تم في التاسع عشر من مارس الماضي إقرار توصية من مجلس الشورى تحدد ضوابط مثل السن وأوقات القيادة ونوعية الملابس. وتنص الضوابط على ألا يقل عمر المرأة عن ٣٠ سنة، وموافقة ولي أمرها على قيادتها للسيارة، والحصول على رخصة قيادة من مركز تعليم القيادة النسائية، وأن تكون السائقة محتشمة في ملابسها، ولا تضع أي مواد للزينة، وأن يسمح لها بالقيادة بمفردها داخل المدن، أما خارجها فتكون بمرافقة محرم. وتم تحديد أوقات القيادة من الساعة السابعة صباحاً وحتى الثامنة ليلاً من السبت حتى الأربعاء، وأما يوما الخميس والجمعة فمن الساعة الثانية عشرة بعد الظهر إلى الساعة الثامنة مساءً، وأن تحمل المرأة معها جهاز الهاتف الجوّال للإستعانة به في الحالات الطارئة، والإتصال بمركز المرور النسائي في حال حصول تعديّات، ودفع مبالغ معينة عند إصدار الرخصة من هيئة المرور النسائي، تخصص لتصليح الأعطال التي قد تتعرض لها سيارتها أثناء القيادة.

وأوصى مجلس الشورى بتأسيس قسم مرور نسائي مختص يتلقى البلاغات، ورقم هاتف مجاني للإتصال به عند الطوارىء، ووضع مراكز داخل المدن للمرور النسائي بإشراف جهات دينية، ومعاقبة من يتحدث الى سائقة من سيارات أخرى أو من العابرين بـ (السجن لشهر واحد ودفع مبلغ مالي)، ومعاقبة من يثبت تحرّشه بها بـ (السجن ثمانية أشهر وغرامية مالية)، فيما تعاقب سائقة السيارة المخالفة للأنظمة بسحب الرخصة فقط.

وكانت الناشطة السعودية وجيهة الحويدر قد قادت سيارتها بنفسها في خطوة رمزية بمناسبة اليوم العالمي للمرأة لتذكير المسؤولين في السعودية بحق المرأة في القيادة في الدولة الوحيدة التي لا تسمح للنساء بقيادة السيارات.

(الهيئة) باقية باقية باقية!

في منتصف مارس الماضي، تسبب رجال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مقتل شاب وفتاة بعد اصطدام سيارتهما بشاحنة على طريق المدينة المنورة - تبوك، وذلك عقب مطاردة رجال الهيئة للسيارة. ويقول شهود عيان بحسب صحيفة (عكاظ) السعودية في السابع عشر من مارس الماضي بأن الحادث أدى الى تفحّم جثة الشاب واحتراف نصف جسد الفتاة وانفصال رأسها، حين فقد سائق السيارة الشاب السيطرة وانزلقت الى أسفل الشاحنة ما أدى الى اندلاع النيران فيها وهما بداخلها، بعد أن كانت تتعقبهم سيارة الهيئة.

الجدير بالذكر أن حوادث القتل التي تسبّب فيها رجال الهيئة قد تزايدت في السنتين الماضيتين، وكان شاب قضى

في مايو من العام الماضي ٢٠٠٧ نحبه بعد أن قام رجال الهيئة بضربه على رأسه وفي أنحاء مختلفة من جسده، فيما تم تبرئة المتسببين من تهمة القتل العمد. حيث قرر قاضي المحكمة العامة في الرياض في نهاية نوفمبر الماضي (صرف النظر) عن دعوى قتل المواطن سلمان الحريصي الذي توفي إثر تعرضه لضربات متتالية على راسه من قبل عضوين بهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحكم القاضي بإخلاء سبيل المتهمين. وقال في قرار الحكم (المتوفى تعرض للضرب على رأسه بالقدم.. فلا الآلة قاتلة ولا الموضع مقتل). وقال القاضي (صرفنا النظر عن دعوى المدعي بقتل المدعى عليهما وأخلينا سبيل المدعى عليهما من الدعوى).

وجاء في نص الحكم (وعلى فرض ثبوت قيام أحد المدعى عليهما بضرب المتوفى بقدمه على رأسه، فلا يعني ذلك أنه عمد إلى قتله لأن العمدية يستدل عليها إما بالآلة وإما بموضع القتل، وكلاهما منعدم في هذه القضية).

وأكد والد المتوفى (أن القاضي طلب من عضوي الهيئة المتهمين خلال الجلسة اليمين بأنهم لم يضربوه ولم يقتلوه، ولم يفعلوا لأنه رفض اليمين التي طلبها القاضي من المتهمين).

الا أن عائلة المواطن سلمان الحريصي رفضت حيثيات الحكم، وقررت مواصلة المطالبة بالقصاص من الذين تسببا في مقتل إبنهما، حيث أرغمت محكمة التمييز بالرياض في ١٨ مارس الماضي على إعادة فتح القضية، ورفض الحكم الصادر من المحكمة العامة بتبرئة عضوي (الهيئة)، وإعادة استجواب الشهود من عائلة المتوفي ورجال الحسبة. وقال وكيل عائلة الحريصي رائق بدوي لصحيفة (عكاظ) أن المحكمة طلبت من القاضي المصدر لحكم التبرئة إعادة استجواب الشهود من عائلة الحريصي وأعضاء الهيئة المشاركين في المداهمة، على أساس احتواء صك الحكم على ثغرات رئيسية منها مداهمة منزل الحريصي بطريقة غير نظامية من الناحية الإجرائية. وتبيّن عملية المداهمة آثار خلع على أحد الأبواب لمنزل الحريصي، وأن أعضاء الهيئة المشاركين في المداهمة شهدوا على العضوين أنهما قاما بضرب المتوفي.

شقيق المتوفي كشف عن إخطار محكمة التمييز برفض الحكم الصادر في القضية وإعادتها من جديد إلى المحكمة العامة، وذلك بعد أن تقدّم ورثة المواطن سلمان الحريصي بمذكرة إعتراض على الحكم الصادر من المحكمة العامة في نهاية نوفمبر الماضي. وأوضح سلمان السلمان، الوكيل الشرعي لورثة المتوفي، أن مكتب القاضي أفاد بوجود ملاحظات على المعاملة وطلبوا منه الحضور. وقال بأنه حضر مع والد المتوفي وقابلوا القاضي الشيخ سعد الهزاني الذي أكد لهم إعادة المعاملة من التمييز وعليها ملاحظات كثيرة من أبرزها إعادة سماع شهادة الشهود لطرفي القضية والذين حضروا الحادثة.

ويخشى أن يكون مصير قضية مقتل الشاب والفتاة مشابهاً لقضية الحريصي، خصوصاً وأن ليس هناك بحسب الذرائع القضائية المعمول بها في مثل هذه الحالات، ما يثبت التورّط المباشر لرجال الهيئة في الجريمة، الأمر الذي يجعل رجال الهيئة محصّنة أمام المسائلة القانونية والعقاب في حالات القتل التي تسبب فيها سواء مباشرة أو غير مباشرة.

نلفت الى مقالة كان أعدّها الدكتور عبد الله بن مرعي بن محفوظ، رئيس مركز جدة للقانون والتحكيم للنشر في جريدة (الإقتصادية) السعودية إلا أنها اعتذرت عن نشرها لحساسية الموضوع. وجاء في المقالة أن: أفراد الهيئة يصيبون ويخطئون، والهيئة عليها الآن قضايا مرفوعة من أفراد المجتمع وهو حق مشروع لأي مواطن يرى أنه مظلوم، وهناك قضية لسيدة من الرياض لدى ديوان المظالم التي ألقي القبض على السائق نتيجة (الاشتباه) بمعصية وتبين عكس ذلك وتم تركها هي وابنتها في الشارع مع السيارة بدون السائق، والآخر الذي ألقي القبض عليه في تبوك لتوصيل إحدى جيران العائلة ومات في سجن الهيئة بسبب أزمة قلبية خوفاً وهلعاً، ثم تبين أن المرأة معروفة لدى زوجة الفقيد والعائلة كلها، وطلب منه أن يوصلها إلى أهلها ولم تكن الواقعة (اصطحاب)، وهناك قاضي المحكمة العامة في الباحة الذي رفع قضية ضد مدير الهيئة وأفرادها في الباحة بسبب تشويه سمعته من أفراد الهيئة، وفي جيزان الذي القي القبض عليه بتهمة الاختلاء مع امرأة وبعد القبض تبين أنها زوجته ورفع قضية رد اعتبار، وأخيراً تم نقل فتاتين من جدة بتهمة الاصطحاب إلي ذويهم في مكة بدون (سجانة)، وبناء على طلب الفتاة نقلت إلي مستشفي النور ليتحول الأمر بعد ذلك إلي هرج ومرج ما بين الهيئة والمواطنين والفتاتين، تحولت بعد ذلك إلي قضية (اعتداء).

الإستسقاء بالطائرات.. المبتدعة!

اعتادت السعودية على تنظيم صلوات جماعية على طول البلاد وعرضها للإستسقاء في حال انقطاع قطر السماء، وهي عادة درجت عليها منذ عقود. ومع أن صلاة الإستسقاء ثابتة ومستحبة وقد وردت فيها أحاديث نبوية مستفيضة، ونظم شعر عظيم فيها، إلا أن صلاة الاستسقاء في السعودية ذات معنى مختلف، وفي الغالب سلبي، وربما تعكس موقف غالبية السكان من جور الأمراء وتطرّف العلماء، حتى أصبح عملهم مادة للتندّر في الثقافة الشعبية. وكان يقال بأن الجماعة يصلّون هنا والغيث يهطل على بلاد أخرى، أو أنهم يصلّون ويزداد الجدب وتمسك السماء عن العطاء، وكأنها غاضبة على أهل الأرض.

يبدو أن الأمراء قرروا التخلي عن صلاة الإستسقاء، شأن أمور حسنة أخرى كثيرة قد تخلوا عنها، فلجأوا الى (بدع الكفّار والمشركين وهل الضلال)، حيث أكّد مدير عام المركز الوطني للأرصاد وحماية البيئة في السعودية في ٢٠ مارس الماضي أن مشروع استمطار السحب دخل المرحلة الرابعة في منطقة الرياض بـ ١١ طائرة، حيث بدأ بهذا المشروع فعلياً منذ خمسة أشهر بهدف إيجاد موارد جديدة لتأمين مصادر مائية أخرى.

وأوضح صالح الشهري أن الطائرات تقوم حالياً بمهام فيزياء السحب هي (١١) طائرة منها ٨ (كنج إير) و٢ (شايان)، وبالإضافة إلى شبكة رادارات طقس متطورة خاصة بالأبحاث المتعلقة بفيزياء السحب، الى جانب أجهزة رادار مُتنقلة يتم تركيبها وتجهيزها لإستخدامها حسب الحاجة وأيضاً شبكة الإتصالات والأقمار الصناعية وتقنية المعلومات والإنترنت وكافة الاحتياجات الأرضية اللازمة للبرنامج بالإضافة للقدرات البشرية لجميع التخصصات.

كما استعان البرنامج، بحسب الشهري، بعدد من الكفاءات العلمية والخبراء من الجامعات والجهات الحكومية المختصة بالمملكة ضمن اللجنة العلمية للبرنامج، وقال إن المشروع يأتي في ظل الرغبة في إيجاد الحل لمعالجة مشكلات النقص في المياه، للحد من الآثار السلبية لهذه المشكلة.

ويخشى أن تكون نتائج إستعمال البدع التكنولوجية مماثلة لنتائج صلاة الإستسقاء، حيث يتم تجميع الغمام فتأتي الرياح لتنقلها الى مناطق أخرى، وإن كان الأخذ بالأسباب كقانون إلهي قبل أن يكون قانون أهل الأرض، يقضي بتطبيقه على أمور عديدة بما فيها رؤية الهلال وتحديد بدايات الشهور وخواتيمها، حتى لا تكون عبادة نحو مليار ونصف المليار مسلم منوطة بشهادة شخص أو شخصين يعتريهم الخطأ والهوى والمصلحة.

الوهابية منطقها التكفير وقتل المخالف

نار التكفير تأتي على الجماعة (الموحدة)!

عمر المالكي

التكفير يبدأ بالآخر وينتهي بالذات. فالتشدّد والتطرّف والعنف لا بدّ أن يعود على الجماعة ليفتتها ويهزّها ويوغل في تدميرها، مثلما فعل (ضد الآخر) الكافر بالضرورة ابتداءً!

الوهابية ودولة آل سعود قامتا على التكفير، وقد صدق جلال كشف في كتابه (السعوديون والحل الإسلامي) حين قال بأن دولة السعوديين لم تكن لتقوم لو أنها اعتبرت (الآخر) في الجزيرة العربية مسلماً، سواء كان في الحجاز أو في الأحساء أو في عسير وجيزان أو حتى في نجد.

التكفير كان المبتدأ، والإحتلال وما رافقه من قتل وذبح، كان الخبر والمنتهى!

ولأن التكفير حالة متأصّلة لدى الوهابيين، حتى بعد قيام الدولة، واستخدموه لتهميش الآخر والإستحواذ على السلطة والثروة، وفي الحروب الإقليمية وحتى في الحروب الدولية (الحرب الباردة ضد الشيوعية).. فإنه حين يتوقّف التكفير، تفقد الوهابية زخمها وعنفوانها، وفي الحقيقة مبرر وجودها.

ولئن نجحت الوهابية النابذة لكل المسلمين بالكفر، وأمعنت فيهم السيف، نجحت من التحوّل الظاهري في موقفها من اعتبار المسلمين كفرة الى أن أصبحوا (المدافع عن أهل السنّة والجماعة) بفعل احتلالهم للأماكن المقدسة في الحجاز، وتوافر الثروة المالية لنشر الدعوة النجدية، كما يسمونها.. إلا أن هذا لم يلغ حقيقة قارّة في الذهنية الوهابية وهي أنه لا يوجد مسلمون (أبعد من نجد).

وفي داخل نجد هذه، معقل الوهابية، كان لا بدّ للوهابية أن تشطرها بين مؤمن وكافر، بعد التحولات التي جاء بها التحديث وتغير أنماط الثقافة والتفكير، فارتدّ التكفير الوهابي ـ أو جزء منه ـ ضد آل سعود، من الإخوان الأوائل، جيش آل سعود، الى عنف الوهابية اليوم وتفجيراتها، مروراً بما فعله جهيمان وصحبه، ناهيك عمّا فعله الوهابيون ويفعلونه في ديار متعددة من المغرب الى أندونيسيا.

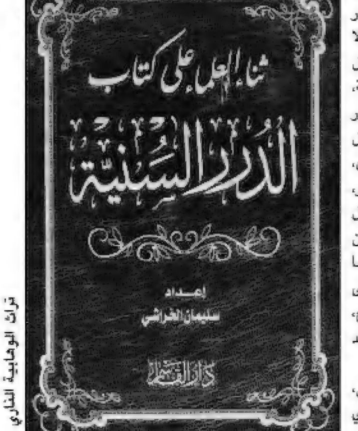
وحتى منظري المذهب، منظري التكفير، لم يسلموا من التكفير هم أنفسهم، فكان لافتاً ـ ربما لأول مرة ـ أن ابن باز وابن عثيمين ومشايخ كبار من الوهابية صاروا هدفاً، واعتبروا كفاراً يدعمون نظاماً كافراً، بالمنظور الوهابي.

والغريب أن قادة المذهب الوهابي يستقون من نفس المعين الذي يستقيه تلامذتهم الصغار الذين يكفرونهم، فالقادة يكفرون غير الوهابيين، والصغار يزيدون على ذلك، واعتماداً على ذات النصوص، المشايخ وآل سعود!

أهم مصادر التكفير مجموعة في خزائن موسوعة (الدرر السنية في الأجوبة النجدية)، والتي تحوي ١٦ عشر مجلداً تجمع أهم تراث الوهابية، ومن يقرؤه يجده شعلة من النار تحرق من يقترب اليها، حيث ستجد التكفير يأخذ مساحات واسعة، لمجرد لبس قبعة، أو بنطلون، أو لمجرد لعب كرة القدم، أو مشاهدة التلفاز، أو حتى أقل من ذلك: إهداء وردة!

ومع هذا يدافع التكفيريون الرسميون والخارجيون عن هذا الإرث الوهابي الناري، فالجميع متفق على مرجعية هذا التراث الذي يخرج ما لا يقل عن ٩٩٪ من المسلمين من دائرة الإسلام، ولا يبقي سوى بضعة أفراد يقطنون نجد وحواري بريدة!

عبدالعزيز آل الشيخ، المفتي الحالي سئل عن الوهابية وأنها مصدر التكفير في العالم اليوم، وأن كتاب الدرر، وما هي بدرر بل كتل نارية، تحوي التأصيل لذلك.. فرد نافياً أن الوهابية هي مصدر التكفير لأنها لا تكفر إلا من يكفره الله! وهو قول اعتاده المكفراتية، واضاف: (وأما الدرر السنيّة، فهي رسائل مشايخ نجد وأئمة الهدى، كلها عدل، وكلها خير، وكلها توضح الحق، وكل الدرر السنية وما فيها من رسائل لمن درسها صادقا خاليا من الهوى يرى فيها الحق الواضح، أما من عميت بصيرته فقد يقرأ القرآن ولا يفهمه)!



تراث الوهابية الناري

وأعدّ المكفراتي، سليمان الخراشي، الذي زاد عدد الذين كفرهم من الشخصيات العلمية والثقافية والدينية والصحافية والشعرية وبالإسم المئات، أعدّ كتاباً تمجيدياً يدافع فيه عن كتاب (الدرر) حوى أقوال مشايخ الوهابية فيه والتي تراه منبر ومصباح هدى؛ ويمكن للقارئ أن يطلع على موسوعة (الدرر) ليرى ما إذا كان يستطيع أن يخرج من تصنيف الكتاب باعتباره كافراً!

إن التراث الوهابي هو الوقود للتكفير في الماضي والحاضر، سواء تم استخدام التراث في تكفير المختلف مذهبياً أو كان ضد الجماعة (النجدية) نفسها، وقيادتها السياسية: آل سعود، أو ضدّ مثقفين وربما مشايخ وكتاب وصحافيين من نفس الدائرة السلفية المذهبية.

تكفير القاعدة جاء من هذا التراث، ولم يستخدم ضد الأميركي إلا متأخراً،

فقد سبقه ضد الأفغاني والباكستاني والعراقي واللبناني والمغربي والجزائري فضلاً عن المسيحي وغيره. وتكفير عشرات الأسماء المحلية جاء وفق هذا التراث؛ وتكفير المفتي الحالي كما المفتي السابق، وأيضاً تكفير بعض المشايخ جاء وفق تشخيص هذا التراث، إضافة الى أن تكفير النظام والعائلة المالكة كان مبنيّاً على معطياته الفكرية والفلسفية. ولذا نرى في كل يوم هناك فتوى تكفيرية، إما لجماعة بحجم الشيعة (٢٠٠ مليون أو أكثر) أو ضد الزيدية في اليمن، أو ضد الأباضية في سلطنة عمان، أو ضد شتى صنوف الإسماعيلية، أو الصوفية أو الماتريدية الأشعرية وغيرهم.. وإما لأفراد بعينهم، يتولاهم الوهابيون بالتكفير.

من هنا، فإن الضجّة التي قامت إثر تكفير الكاتبين عبدالله بن بجاد العتيبي ويوسف أبا الخيل، ما هي إلا محطة من المحطات، سبقها تكفير مجاميع أخرى لا نستطيع تعدادهم: الغذامي، الحمد، النقيدان، وغيرهم. والفتوى هذه المرّة ليست بالتكفير فقط، وإنما اعتبار الشخصين مرتدين، يجب استتابتهما فإن لم يتوبا قتلا!

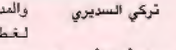
ما هي الحكاية، ما هي الجريمة الكبرى التي اقترفها هذان الكاتبان، خاصة وأن أحدهما كان مكفراتياً هو الآخر، وتراجع بعد فترة من الزمن، لكي يستحقا هذا الحكم الشديد؟

إنها بسبب مقالة لكل منهما، لم تعجب منظري الوهابية التكفيرية.

الآخر في ميزان الإسلام

هذا عنوان مقال كتبه يوسف أبا الخيل في جريدة الرياض ١٦/١٢/٢٠٠٧، استحقّ بسببه التكفير ونعته بالمرتدّ الذي إن لم يتب يقتل!. فكرة المقالة ليست جديدة، بمعنى أن آخرين سبقوا الكاتب إليها، وهي فكرة تحاول تعريف من هو المسلم؟ ومن هو الكافر؟ فالرؤية التقليدية تقول بأن كل من هو (غير مسلم) كافرٌ بالضرورة، وبالتالي فإن صراع (الإسلام) مع الديانات الأخرى كالمسيحية واليهودية هو صراع مع (كفار).

شكراً للمفتي!



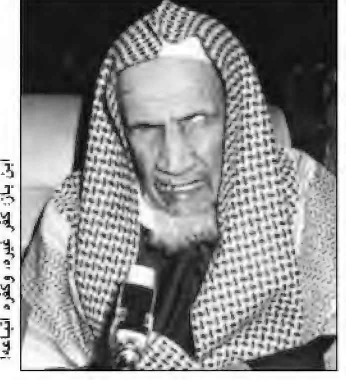
تركي السديري

أراد تركي السديري في رده على فتوى البرّاك، أن يعزل المفتي عن البقية، فالمفتي في الجيب الرسمي، وأولئك مجرد أقلية، لا قاعدة لها. هذا كلام مضلل، فصمت المفتي لا يعني أنه أقرب الى السديري منه الى البراك، ولا يعني صمت المفتي سوى أنه يؤمن بما يؤمن به البراك، وأنه يشترك معه في نفس التفسير والمدرسة المذهبية. هذه هي الحقيقة وما عداها لغط ربما يكون الإختلاف بين الإثنين حول التفاصيل، أما الأسس فهما متفقان.

السديري في مقالته المادحة للمفتي (شكراً للمفتي لكن ماذا عن الآخرين؟) في الرياض ١٩/٣/٢٠٠٨، أشار الى تسامح الإسلام، والى (الأقلية) عالية الصوت، واستند الى قول المفتي في استنكاره ظاهرة (إغداق التكفير والتفسيق) ليهاجم بها البراك والمشايخ التكفيريين الآخرين، مع أن كل مشايخ الوهابية تكفيريون.. وتساءل: (مع أنهم أقلية جداً ويمارسون أخطاء وتجاوزات مكشوفة، لماذا لا توجد روادع لما يريدون أن يمثلوه من خطورة؟ ولماذا لا يحاسبون، وقال: (هناك ضحيتان المقتول المكفر والقاتل المغرر به، بينما محرك الضغائن ومصدر الفتاوى البعيدة عن الشرع يختفي في عباءته يائساً كلما سمع عن خبر تفجير أو إطلاق رصاص). ويزعم السديري أن حجم الأقلية لا يصل ١٪، ونحن نعتقد أن حجمها أقلّ قليلاً من حجم نجد السكاني!

يرى يوسف أبا الخيل في مقالته آنفة الذكر، أن هذا ليس موقف الإسلام من مخالفيه، بل هو موقف

(اختزلته التقليدية الماضوية في دائرة التكفير والتكفير المضاد، لا بين الإسلام وغيره من الأديان الأخرى فحسب، بل بين المذاهب الإسلامية نفسها). فالإسلام ـ برأي أبا الخيل وآخرين ـ (مضمون ديني يتسع في القرآن ليشمل الديانات السماوية التي تنتمي إلى دين إبراهيم، كما في قوله تعالى: إن الدين عند الله الإسلام، وكذلك: ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه، فالمقصود بالإسلام هنا هو دين إبراهيم، دين التوحيد، في مقابل الشرك. وهذا الإسلام ـ على خلاف ما يريده المتشددون والمتنطعون ـ لا يكفّر مخالفيه لمجرد عدم اتباعهم رسالته، بل يكفر منهم فقط من يحول بين الناس وبين ممارستهم لحرية العقيدة التي كفلها لهم). ويرى أبا الخيل أن الفقهاء هم الذين غيّروا وجهة الإسلام، حيث (لم يلتبس الأمر إلا عندما اخترع الفقهاء مصطلح: دار الحرب، في مقابل مصطلح: دار الإسلام، زمن الفتوحات. فأصبحت دار الحرب تعني حينها كافة المجتمعات والدول التي لا تنضوي تحت لواء الدولة الإسلامية التي تمثل بدورها دار الإسلام، مما سمح بتعدية مصطلح الكفر لاحقاً ليكون وصفاً لكل من لا يدين بالإسلام).



ابن باز: كفّر غيره، وكفّره أتباعه!

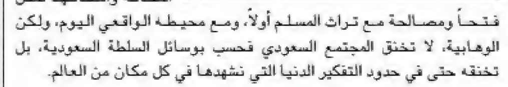
ويقسم أبا الخيل، المجتمعات والديانات، من خلال تقسيم موقفها من عقيدة التوحيد. فهناك من حارب الدعوة الإسلامية أيديولوجياً لمصالح لها، مثلما هم مشركي العرب والمسيحيين (من أصحاب عقيدة التثليث فحسب) وهؤلاء كفار. وهناك فئات دينية وجدت في الدعوة الإسلامية أنها تدعو الى ما كانت تدعو هي إليه من وحدانية الله، (وتمثلت هذه بالمذاهب المسيحية التي رفضت عقيدة التثليث والتي زندقت وهُرطقت من قبل المجمعات المسكونية الرومانية التي أقرت تلك العقيدة).. هؤلاء المسيحيون المعتقدون بالديانة التوحيدية (المذهب الأريوسي) والحنفاء الأوائل الذين نأوا بأنفسهم منذ البداية عن عبادة الأصنام، يعتبرون موحدين ويدخلون ضمن عقيدة (الإسلام) بمعناه الإبراهيمي. وأخيراً هناك فئات دينية حيادية تجاه الدعوة المحمدية كما هم الصابئة، الذين لم يكفرهم القرآن ومثلهم اليهود، لولا أنهم انقلبوا على الإسلام وحاربوه فاستحق من قاتل منهم أن ينعت بالكفر، وإلا فإنهم في الأصل مشمولون فيما يشمل المسلمين.

ويشير أبا الخيل الى عقد النبي لصحيفة المدينة مع اليهود، وكيف أنه آخى بينهم وبين المسلمين عبر تلك الصحيفة، وأنه ضمن لهم حقوقهم بالمساواة، بل وأشارت اليهم الصحيفة بأنهم (يهود) وليسوا (كفاراً) رغم بقائهم على دينهم. ولكن حين اعتدوا، صار المعتدون منهم فقط (كفاراً).

ويضيف أبا الخيل: (أما من لم يحارب الإسلام، سواءً من الكتابيين الموحدين أو من أتباع العقائد الأخرى فلم يرمهم الإسلام بالكفر على الرغم من بقائهم على دينهم، بل اعتبرهم من ضمن الفرق الناجية. يؤكد ذلك قوله تعالى في حق المذاهب المسيحية التي رفضت عقيدة التثليث: ((ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون)) وكذلك قوله تعالى في حق الكتابيين عموماً ممن بقوا على دينهم ولم يحاربوا الإسلام، كما بقية الطوائف الأخرى التي بقيت على الحياد من رسالة الإسلام: ((إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن

بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا يحزنون)).

هذا هو مقال أبا الخيل، مجرد رأي مدعّم بالآيات القرآنية، وهو رأي كما قلنا ليس بجديد، وفي حال الإعتراض عليه، يعتبر مجرد رأي، لا أن يترتب عليه التكفير واعتباره مرتداً يستحق القتل. إن فتوى الإرتداد تكشف لنا كم هي الوهابية منغلقة، وكم هي متطرفة، وكم هي لا تقبل رأياً مخالفاً حتى ولو كان دينياً أو من داخل الدائرة الدينية، وكم هي جامحة عنيفة تجاه المخالف وكم هي أداة (خانقة) للرأي والفكر حتى في أبسط الأمور.



الشيخ البراك صاحب فتوى الردة

إن هذه المقالة تدخل في خانة الرأي، وصاحبها يدخل في خانة المفكرين والداعين الى التجديد، والحقيقة فإنها تحلّ إشكالات لاتزال تعصف بالذهن المسلم العادي، الموتور من كل ما ومن يخالفه. هذه المقالة وأمثالها تمثل فتحاً ومصالحة مع تراث المسلم أولاً، ومع محيطه الواقعي اليوم، ولكن الوهابية، لا تخنق المجتمع السعودي فحسب بوسائل السلطة السعودية، بل تخنقه حتى في حدود التفكير الدنيا التي نشهدها في كل مكان من العالم.

إسلام النصّ وإسلام الصراع!

وهذا عنوان آخر لمقالة عبدالله بن بجاد العتيبي التي كفّر بسببها أيضاً. ومرّة أخرى، فإن جوهر فكرة المقالة هذه ليس جديداً، وقد سبقه آخرون في القول بها. ملخص فكرة المقالة تقول بأن الإسلام في جوهر معتقداته بسيط، متسامح، مباشر، سهل التطبيق في تعاليمه.. لا يتطلب الدخول إليه عملية معقدة بل مجرد إشهار (الشهادتين: اشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله). هذا الإسلام تحوّل اليوم الى كائن معقّد، اختفت منه أهم صفاته، وأعيد تركيب أجزائه، بحيث صار من السهل إخراج الناس من دين الله أفواجاً، بسبب التشدد وبسبب (إعادة التركيب) لمفرداته العقدية. ولهذا يدعو الكاتب العتيبي الى العودة الى أصول الإسلام البسيطة، بعيداً عن الشروحات الطارئة عليه، والتي جعلته مثاراً للفتن والحروب.

يبدأ العتيبي مقالته بإيراد حديثين من صحيح مسلم، تكشف بساطة الإسلام كمعتقد، ويلفت نظر القارئ بأن صحيح مسلم يعتبر من (أصحّ الكتب المعتبرة في رواية الأحاديث النبوية). بعدها يعلق الكاتب على الحديثين بالتالي: (هكذا بكلّ منطق سهل ومباشر يقدّم الحديث الإسلام والإيمان للناس بعيداً عن أي عدائية أو تعقيد تجاه الآخر المختلف خارجياً أو داخلياً، غير أنّ البشر المتصارعين بطبيعتهم احتاجوا في صراعاتهم إلى استخدام كل أداةٍ ممكنةٍ ليوظفوها في موازين القوى داخل خضم صراعاتهم، ولما كان العامل الديني عاملاً حاسماً وسلاحاً فتّاكاً في الصراع، فلم يكن ممكناً أن يغفله المتصارعون، وهكذا كان).

ويشرح العتيبي الأمر، بأن المتصارعين أدخلوا (في التراث الدين كأداة صراع، وسلّطوا عليه آليات تأويلية وتفسيرية تخدم هدف كل جهة من المتصارعين وكل جماعة من المتناحرين، وباختلاف الأهداف والغايات اختلفت التأويلات والتفسيرات). ثم يقرّ بأن الإسلام المباشر البسيط، لا يمكن أن يقيد في الحروب والنزاعات من حيث أنه دين متسامح جاء (رحمة للعالمين) لذا لزم المتصارعين القيام بـ (تجزئته وتقطيعه ومن ثمّ إعادة بنائه وتركيبه ضمن منظومة تضمن خدمة أهدافهم الصراعية، وتشكّلت على هذا الأساس إسلاماتٌ تعبّر عن رؤية كلّ فريق وتثبّت نظرية كلّ طائفة).

ويقدّم العتيبي مثالاً واضحاً من وحي ما جاء في الأحاديث: فشهادة أن (لا إله إلا الله) التي كانت محوراً للحكم على الفرد بالإسلام، تمت تجزئتها الى جزئين: الأول (لا إله) والثاني (إلا الله)، ثم: (تأتي مرحلة الشحن التأويلي ومرحلة التعبئة التفسيرية، فيكون الجزء الأول: (لا إله) المقصود به هو: الكفر بالطاغوت، ونفي جميع الأديان والتأويلات الأخرى، ويضاف لذلك تكفير المخالفين وقتالهم والبراءة منهم، ثم يأتي دور الجزء الثاني: (إلا الله) لتتم تعبئتها كالتالي: أي لا معبود بحق إلا الله، أو لا موجود إلا الله، أو غيرها من التفسيرات المشحونة والملغومة التي اختلفت باختلاف المدارس والفرق والمذاهب والطوائف، وعلى هذا فقس).

هذا المثال يتعرض بصورة واضحة الى معتقد الوهابية، فهذا هو رأيها المشحون، بالرغم من أن هناك مسلمين لهم رؤى مشابهة، إلا أن المثال جاء وكأنه ردّ على كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب، مؤسس المذهب الوهابي. ومن هنا كان توتر مشايخ الوهابية.

ومما جعلهم ينزعجون من الرجل ويكفرونه، هو قوله: (وإذا كان هذا جزءا من التشويه الأيديولوجي لأهم مبدأ في الإسلام ـ الشهادتين ـ فما بالك بما دون ذلك من عقائد وشعائر، من روحانيات وسلوكيات، من عبادات ومعاملات)!

كيف يكون ذلك، والوهابية لم تقم إلا على هذا الأس من التقسيم والتشويه والتحريف، حيث قاتلت المسلم في جزيرة العرب وخارجها بناء على هذا الرأي الذي يتعرض له العتيبي، لتقوم للوهابية دولة، يحكمونها بالتشارك مع آل سعود. وما زاد الإزعاج أن العتيبي حرّض على مواجهة هذا الفكر، بل الإنحراف الضارب بأطنابه في الأذهان، ودعا الى الإنعتاق من أغلاله. ليصار الى تصالح المسلمين (مع إيمانهم من جهةٍ ومع واقعهم من جهةٍ أخرى، مع دينهم من ناحية، ومع دنياهم من الناحية المقابلة، وإجمالاً أن يتمكنوا من المصالحة بين متطلبات الخلاص الروحي وواجبات البناء الحضاري).

وتوقّع العتيبي أن مقالته تلك ستواجه من قبل (حراس الفضيلة!).. يقول: (من الطبيعي أن يثير مثل هذا الطرح سدنة القديم وحرّاس السائد وجنود المألوف، وأن يجلبوا بخيلهم ورجلهم عليه وعلى طارحيه، لأنه يزعزع

مشايخ التكفير مطلقٌ سراحهم

تحت هذا العنوان، كتب فارس بن حزام في الرياض (٢٠٠٨/٣/١٨) قائلاً: (ما أن ينطفئ بريق شيخ تكفيري، حتى يشتعل شيخ آخر. ينطفئ في الأردن، ويشتعل في السعودية. من تكفير الحكومات نزولا إلى الأفراد. في أسبوع واحد، أفرج عن شيخ تكفيري في الأردن، وأصدر آخر في السعودية فتوى تكفيرية. شيخ التكفير في الأردن يهمنا كثيراً في السعودية، فعلى إثر فتاواه، تحرك شبان من بلادي رافعين راية القاعدة يضربون فيها مؤسسات وأفراداً).



فارس بن حزام

ويقصد بالشيخ الأردني أبو محمد المقدسي، ذي الأصول النجدية، والمتعلم على الفكر الوهابي. وتابع ابن حزام بأن المعادلة لا تستوي فالمحرض في الشارع، والضحية في القبر أو السجن. (لا يمكن معاقبة من نفذ عملاً معادياً لأمن بلاد ومجتمع، والإبقاء على المحرّض/ المفتي مستمتعاً بمشاهد الدمار والانحدار. فالعقاب يجب أن يطال من أفتى أولاً).

المكتسبات الكثيرة التي يتمتّعون بها، وينزع مخالب السلطة التي يدلّون بها على الناس، ويكسر سيوفهم المصلتة على رقاب العباد، ولكن من الطبيعي أيضاً أن يصبح مثل هذا الطرح محلّ نقاشٍ وحوارٍ متواصلٍ، حتى نعيد للإسلام رونقه ونمنح للواقع تنميته وللإنسان تصالحاته. إنّ التحريفات والتأويلات والتفسيرات الصراعيّة لا تؤمن أنّ: الدين المعاملة، وأنّ: حب الخير للناس من أعظم العبادات، وتلغي من قاموسها أنّ الإسلام إنّما جاء: رحمة للعالمين، وتتجنى على كثيرٍ من المفاهيم المفترى عليها والمغيّبة قسراً عن التداول والتأثير، لتفسح المجال رحباً أمام تحويل الدين بكل قداسته إلى مجرد ترسانة أسلحة في حرب ذات معارك متعددة ومنتشرة في الزمان والمكان).

فتوى الردّة ومتطلبات القتل

بناء على هذين المقالين، انطلق أحد مشايخ الوهابية الكبار، عبدالرحمن ناصر البراك، وهو أستاذ أصول الدين بجامعة الإمام بالرياض، وأحد رموز السلفيين بالمملكة، فأصدر فتوى بردّة الكاتبين في ٢٠٠٨/٣/١٣م. فقد أُرسلت للشيخ البرّاك صورة من المقالتين لتوضيح رأيه فيهما، مشفوعة بسؤال ملغم عن (الكتابات الصحافية المصادمة لأحكام الشرع المطهّر). أجاب البراك بأن: (من زعمَ أنه لا يكفرُ من الخارجين عن الإسلام... إلا من حاربه) ، أو زعم (أن شهادة ألا إله إلا الله... لا تقتضي نفيَ كلُ دينٍ غير دين الإسلام، مما يتضمن عدم تكفير اليهود والنصارى وسائر المشركين) (فإنه يكون قد وقع في ناقضٍ من نواقض الإسلام. فيجب أن يحاكم ليرجع عن ذلك. فإن تابَ ورجع، وإلا وجب قتله مرتداً عن دين الإسلام، فلا يغسَّل ولا يكفّن ، ولا يصلى عليه، ولا يرثه المسلمون).

وطالب البراك باستخدام سلطة الدولة في قمع المخالفين، وشدّد على محاسبة رؤساء التحرير الذين يسمحون بنشر ما سماه بالمقالات الكفرية، إذ (إن من المؤسف المخزي نشر مقالاتٍ تتضمن هذا النوع من الكفر في بعض صحف هذه البلاد المملكة العربية السعودية: بلاد الحرمين. فيجب على ولاة الأمور محاسبة هذه الصحف على نشر مثل هذا الباطل الذي يشوّهُ سمعة هذه البلاد وصورتها الغالية. وليعلم الجميع أنه يشترك في إثم هذه المقالات الكفرية كل من له أثرٌ في نشرها وترويجها من خلال الصحف وغيرها، كرؤساء التحرير فمن دونهم كلٌ بحسبه).


ناصر العمر: تكفيري آخر

ولم تكن هذه الفتوى الأولى من نوعها للبراك، فقد أصدر بيانًا سابقًا اتهم فيه الصحفيين والكتاب الليبراليين بالاستخفاف بأهل العلم والدين، واعتبر أنهم يحملون أجندة مضادة للدوائر الشرعية والنيل منها، مطالبًا السلطات (بوضع حد لأمثال هؤلاء)، حسب تعبيره. وقد انحاز الى الشيخ البرّاك في فتواه الأخيرة، مجموعة أخرى من المشايخ الوهابيين، كان عددهم ٢٠ شيخاً، وقعوا بياناً أعلنوا فيه تضامنهم مع فتوى الشيخ البراك سمّوه: (بيان في مناصرة فتوى العلامة عبدالرحمن البرّاك). وبعد أن يقرر الموقعون اطلاعهم على ما كُتب وعلى فتوى الشيخ البراك، وردود الفعل على الغاضبة على الفتوى والتي نشرت في الصحافة المحليّة وفي المنتديات المحلية، جاء:

(... واطّلعنا أيضاً على مَا حصَل مِن هجومٍ خبيث على شيختا العلاّمة مِمَّن تلوّثت عقائدهم وانحرفت مناهجهم، وشَرِقت نفوسهم بهذه الفتوى الّتي كَشَفَت ضَلالهم، وهَتَكَت أستارهم .ومع عِلمنا بإمامة شَيخنا في الدِّين، ومكانته في الأُمّة، وثِقة المُسلمين بعِلمه وفتاواه، ووُضوح ما أفتى به... نقول: إنّ هذه الفتوى قد دلّ عليها كتاب الله وسُنَّة رسوله... وليس لأحدٍ من الناس أن يشكك فيه .وكلام شيخنا واضح بإيكال الأمر وإسناده إلى ولي الأمر استناداً إلى عبارته بوجوب محاكمته، ولما عرف وشاع واستفاض من منهجه وما ربّى عليه تلامذته. وتؤكد على ما طالب به - حفظه الله - من محاكمة قائل هذا القول وأولئك الذين تعمدوا تحريف كلامه وتشويه سمعته واتهامه بما هو بريء منه).

أول الموقعين العشرين على بيان الدعم هذا: الشيخ ابن جبرين، الذي أفتى بكفر المواطنين الشيعة وقتلهم إن لم يسلموا، وعبدالعزيز الراجحي، وعبدالله السعد، ومحمد المطلق، وغيرهم.

إضافة الى العشرين شيخاً، فإن مجموعة أخرى من المشايخ أصدرت بيانات منفصلة مؤيدة لفتوى البراك، بينهم الشيخ عبدالله الغنيمان الذي اعتبرها (الحق.. ولا يسع من يؤمن بالله واليوم الآخر مخالفة ذلك).. فيما وصف المتطرف ناصر العمر الفتوى بأنها (علمية محكمة) وأضاف: (أؤيّد ما ورد فيها حول كفر من وقع في ناقض من نواقض الإسلام وردّته ولو زعم أنه مسلم). أيضاً الشيخ عبدالله التويجري وصف الفتوى بأنها (الحق الذي يدين الله به) ووسّع الأمر مهاجماً ومحذراً من مواطنين اعتبرهم (من أهل الزيغ والضلال من الزنادقة والمرتدين الذين يتكلمون بألسنتنا وهم حرب لنا... هم أعظم جرماً من رسام الدانمارك وسلمان رشدي) وطالب بإقامة حكم الله فيهم، أي: القتل! هناك شيخ وهابي آخر وهو عبدالرحمن المحمود أيّد الفتوى، وزعم أن مضمونها (إجماع) الأئمة الأربعة! أما سعد الحميد فاعتبر قول (شيخنا الشيخ البراك حفظه الله ورعاه هو الحق) وأضاف: (أوافق عليه جملة وتفصيلاً).

أما الشيخ صالح الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء، وصاحب كتاب التوحيد الذي وضعه كمنهج دراسي، والذي كفّر فيه المواطنين الحجازيين والشيعة وأهل الجنوب، أي أكثر الشعب السعودي، فأشعل بذلك فتنة بسبب رفض الطلبة حضور

النفي الاجتماعي: إشكالية الردة

سلطان العامر

(فيجب أن يحاكم ليرجع عن ذلك. فإن تابَ ورجع، وإلا وجب قتله مرتداً عن دين الإسلام، فلا يغسَّل ولا يكفّن ، ولا يصلى عليه، ولا يرثه المسلمون). بهذه الكلمات - أو لنقل: الرصاصات - أجاب به أحد المشايخ من استفتاه حول رأيه في مقالة كل من يوسف أبا الخيل عن (الآخر في ميزان الإسلام) وعبد الله بن بجاد عن (اسلام النص واسلام الصراع!).

يمكن إدراج هذه الفتوى تحت ظاهرة اجتماعية ملازمة للمجتمعات المغلقة، أو المسكونة بهاجس الهوية والمحافظة عليها. ظاهرة نسميها (النفي الاجتماعي)، تمارسها مؤسسة اجتماعية أو أحد ممثليها من أصحاب (رأس المال المعنوي) والمدافعين عن ما يتم تثبيته أنه (الأصل) و(الهوية)، اتجاه أحد أفراد المجتمع نتيجة سلوكه مسلكا يصادم فيه أو حتى يخالف هوية هذا المجتمع. وتتعدد مراحل هذا النفي، فقد يكون نفيا أفقيا يكتفي باستبعاد هذا المنفى أو تجريده من كل قيمة اجتماعية وخلق حواجز بينه وبين أفراد المجتمع عبر إدراجه تحت بند (المارقين عليه). وهذا المروق، قد تتعدد أسماءه من نفاق، وزندقة، وابتداع، وهرطقة، ولبرلة، وعلمنة...إلخ. وينتهي هذا النوع من النفي إلى عزل هذا المنفي اجتماعيا، تماما كما كان العرب الأوائل يفعلون مع الإبل (المطلي به القار). أما النوع الأخطر من هذا النفي فهو النفي العمودي، أي السعي لإلغاء وجود هذا المنفي في المجتمع، سواء بسجنه أو إحراق كتبه أو طرده أو - وهذا الأشد خطرا - تصفيته جسديا!

عكاظ، ٢٠٠٨/٣/١٩

حصة الدين، فإنه كتب مقالاً يدعم فيه فتوى البراك، وشدّد النكير على الكاتب ابن بجاد، فكان عنوان المقال غريباً في مجتمع مسلم: (كفّوا عدوانكم على الإسلام). قال الفوزان بأن الكاتب تجرأ على ثوابت الإسلام، وانتقده لأنه اتهم (أهل التوحيد) أي الوهابيين، بأنهم جزّأوا لا إله إلا الله، وأضاف بأنه يريد (أن يبطل مدلول لا إله إلا الله) ويشوهه، وتابع موجهاً كلامه للكاتب ابن بجاد: (إبشر بما يسوءك، فلن يسكت المسلمون عن الدفاع عن عقيدتهم.. وستبوء بالفشل إن شاء الله) مخرجاً الكاتب من دائرة الإسلام بصورة ملتوية.

الشيخ الفوزان: على خطى التكفيريين

وهناك كاتب آخر، هو عبدالله العجيري، فقد كتب مقالة تحت عنوان: (ابن بجاد والحلقة الأخيرة في مسلسل الإفساد) بدأها بوصف ما يطرح من كتابات لا تتواءم مع رؤية الوهابية بأنها (أطروحات ليبراليين) (تستهدف تفريغ الإسلام من محتواه، وصناعة إسلام يناسب أمزجتهم وعلى الكيف)!

واعتبر مقالة العتيبي (حلقة في مسلسل مسخ الدين، وزعزعة ثوابته، بل والإغارة على أغلى ما فيه: ركن الإسلام الأعظم). وعدّ المقال كمثال (معبر عن حجم الانحراف فيما يؤصل له الكاتب ويُنظّر، ويؤكد على أن الكلمة المجملة قد يقولها الصديق والزنديق). وأنه ليس إلا (هدمٌ واضحٌ متعمدٌ لأعلى وأغلى وأجل ما في هذا الدين، وتعطيل لأعظم كلمة من معانيها وأحكامها).

واعتبر ما جاء في مقالة العتيبي جرأة على مبدأ الحق، وأنها (الحلقة الأخيرة في مسلسل مسخ الدين وإعادة تأهيله ليتناسب وأمزجة أولئك المتحرقين). وأن مبتغى الكاتب فيما أسماه بـ (مسلسل الإفساد) (يحتاج إلى حلقات لا إلى حلقة واحدة تحقق المطلوب، ومن شاء فلينظر في حال الشيطان ففي خطواته عبرة، أم أن كاتبنا يعتقد أنه من (أصحاب الخطوة)! وأنه أقدر من إبليس على الإضلال والإفساد! لقد خاب إذن وخسر)! ويختتم العجيري مقاله بأن مشكلة (الزائغ) العتيبي ليست مع سدنة الوهابية وإنما (مع دين الإسلام نفسه، وما هم وإياه إلا كثيران هائجة تنطح بقرونها جبلاً أشماً فما ضر الجبل نطحهم ، وتوشك أن تنكسر تلك القرون).

الضحايا يردون

قال عبدالله بن بجاد للعربية (١٣/٣/٢٠٠٨) بأنّ الشيخ البرّاك (يملك ثقلا لدى القاعدة والمتعاطفين معها، وغير ذلك فليس له أي منصب رسمي في المؤسسة الدينية السعودية، ولا يمثل بعداً جماهيرياً لدى عامة الناس، بل كثير منهم لا يعرفونه، ولكن المتطرفين والمتشددين يعرفونه جيدا لأنه شيخهم). وأضاف بأن (فتوى البراك تذكرنا بفتاوى أخرى أصدرها منظرو هذا التنظيم مثل محمود العدوة وناصر الفهد وعلي الخضير والذين كان الشيخ عبدالرحمن البراك يصدر ويوقع معهم البيانات سويا، فهو مقرب جداً من خطابهم ومن تفكيرهم).. وأنها فتوى ليست جديدة و(سبق أن خرجت أكثر من فتوى). وتابع: (لو ردّ البرّاك رداً علمياً، لرددت عليه بنفس الطريقة، ولو كتب بحثاً في انتقادي لكتبت بحثاً، لكن عندما يتحول إلى فتوى تكفير وتحريض بالقتل، فأعتقد أنني لست خصما له، وإنما خصمه مؤسسات الدولة المعنية بحفظ الأمن). وأكد أن (خطورة السكوت على هذا الأمر تجعله مرشحا للانتشار والتطبيق على أشخاص آخرين) مشيرا إلى أن (هذه الفتاوى تنشر الفوضى في المجتمع وتلغي دور مؤسسات الدولة) متسائلاً: (إلى متى تستمر فوضى الفتاوى خصوصا في موضوعات حساسة تصل إلى اخراج الناس من دينهم واتهامهم في عقيدتهم والتحريض على قتلهم؟.. أعتقد أننا بلغنا نهاية الفوضى باصدار كل شخص فتوى بتكفير آخر واخراجه من الدين والتحريض على قتله).

وفي مقابلة مع إيلاف (١٣/٣/٢٠٠٨) قال العتيبي أن فتوى البراك جريمة: (لأن الردة عن الدين تعني دعوة علنية للناس للقتل وسفك الدم الشخص المعني بالردة... هم دائماً ما يتنصلون من عدم تحديدهم للشخص معين ولكنهم في أعماقهم يتمنون لو يقوم أحد الأشخاص بتنفيذ تعاليمهم الصريحة الموجودة في الفتوى).. وحدد المشكلة في أن المتشددين (يقرأون النصوص الدينية قراءتهم الخاصة ويجعلون منها الحق المطلق ويلبسونه بعد ذلك رداء القداسة. وعندما تعلن رأيك يجعلونك ضد الإسلام ويصدرون بحقك الفتاوى التي تدعو بشكل صريح لسفك دمك، كما يحدث معي الآن).

أما الكاتب يوسف أبا الخيل، فقال رداً على الفتوى: (سأرفع قضية. يجب أن أرفع قضية. من أعطى البراك الحق في أن يهدر دمي ودم الزميل عبدالله بن بجاد ويصفنا بالمرتدين. هو ليس مفتيا وليس مرجعا دينيا يمكن مقاضاته بشكل قانوني إذا ما أصدر كلام من هذا النوع. سأرفع قضية لأسترد حقي المعنوي على الأقل. لقد تم تكفيرنا وصدرت بحقنا فتوى بردتنا ولكن من يحمي حقوقنا المعنوية). وحذّر بأن الفتوى هي البداية لكي يقوم شخص ما بتطبيقها على أرض الواقع. وتابع موضحاً آثار الفتوى على الصعيد الشخصي فقال أنه قبل تنفيذ القتل (يتم تطليقك من زوجتك وثم يحرم أولادك من الميراث الذي تتركه، وينزع عنك دينك، وثم تقتل بعد ذلك).

والخلاصة: إن كتلة النار الوهابية لن يتوقف شررها مادامت مصادر التكفير معتمدة، في المناهج التدريسية، وفي القضاء، وفي الثقافة العامة، وعلى المنابر، وهي أساس تخريج أفواج مشايخ الوهابية.. إذا ما أريد معالجة التكفير والعنف والقتل والتطرّف، فليعالج التراث الوهابي، وليمنع امتداده وتسويده في المجتمع، وهذا يتطلب عشرات السنين. أما مكافحة النتائج فلا تحل شيئاً، وستسمع فتاوى التكفير تصك آذاننا كل يوم، نعم كل يوم.

الحويدر: الشيخ الدبيان يريد قتلي!

طالبت الكاتبة والناشطة الحقوقية وجيهة الحويدر أجهزة الأمن السعودية بحمايتها من تهديدات صريحة وتحريض علي القتل صادرة من متشددين سعوديين معروفين. واتهمت الحويدر موقع الكتروني بنشر مداخلات تحريضية تهدد سلامتها. وقال إبراهيم الدبيان وهو رجل دين سلفي متشدد عبر الموقع: والله لقد حان وقت عقاب هذه المتمردة! وقالت الحويدر بأن الدبيان يحرض المتطرفين السعوديين علي قتلي وإني من الآن اتهمه بالاعتداء علي والتعدي علي حقي كمواطنة سعودية، مضيفة: لو أصابني أي مكروه بسبب حادث مفتعل، فإني أتهم هذا الرجل ابراهيم الدبيان بأنه وراءه أو بسبب تحريضه ضدي لدفع المتطرفين الي الاعتداء علي.


وجيهة الحويدر

وأثارت الناشطة الحويدر انتباه وسائل الاعلام العالمية الأسبوع الماضي حين قادت سيارتها علنا في منطقة ساحلية بالمنطقة الشرقية وسجلت الحدث عبر رسالة فيديو نشرتها من خلال الموقع الشهير (يوتيوب). فيما تجاهلت وسائل الاعلام المحلية والمسؤولون السعوديون الحادثة تماما والتي تضمنت تحديا للممانعة الرسمية التي يقودها رجال الدين المعارضون لقيادة المرأة للسيارة.

(ورفعنا لك ذكرك)

سيرة المصطفى وتخليد آثاره

يحي مفتي

أضفت الديانات السماوية عناية خاصة على الآثار التاريخية ذات المدلولات الدينية، وخصوصاً تلك المتعلّقة بالرعيل الأول المؤسس لنواة كل ديانة ومن لحق بهم بإحسان، لجهة الإبقاء على وتوثيق الوشائج الروحية بين المؤمنين طيلة مسيرة الأديان. وقد جبلت المجتمعات الغابرة على تخليد آثارها لتكون معالم شاخصة على تجاربها ودروساً تستلهم الأجيال اللاحقة منها معانٍ خاصة. ودوّن القرآن الكريم بعض التجارب الماضية والحوادث المتميّزة لما لها من أهمية فائقة في تزويد المجتمعات بالعبر. يقول تعالى (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين) وفي آية أخرى (أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم..)، وفي آية ثالثة (أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم دمّر الله عليهم وللكافرين أمثالها) وفي قصص المجتمعات القديمة قال تعالى (وعاداً وثموداً وقد تبيّن لكم من مساكنهم..).

ولعل التخليد الأبرز للتجارب البشرية، ما ورد في سورة (الكهف) حيث تبدأ بذكر هدف إنزال الكتاب، فيقول عزّ من قائل (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً. قيّماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنّ لهم أجراً حسناً). ثم تنتقل السورة المباركة إلى تركيز ضوء كثيف على قصة أهل الكهف، يقول تعالى (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً)، ثم تأتي الآيات المباركات لاحقاً لتشدّد على ذكر هوية الفتية، فيقول عزّ من قائل (نحن نقصّ عليك نبأهم بالحق، إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى). وتستعرض السورة قصة هؤلاء الفتية المؤمنة بتسليط الضوء على جوانب مهمة في تجربتهم مع أهل زمانهم وحاكم بلدهم، الأمر الذي جعلهم في نهاية المطاف رمزاً خالداً وتجربة إيمانية فريدة تروى في القرآن الكريم لتكون عبرة ودرساً، وأثراً خالداً، وهكذا هي قصص القرآن الكريم وأحوال الأنبياء التي وردت تجاربهم وسيرهم في سور قرآنية مستقلة وتفصيلية أحياناً.

وحين ننتقل إلى الآثار الإسلامية نجد أن بعضها ارتبط بتجارب تاريخية أقرّها الإسلام بل أحالها إلى فريضة عبادية على المسلمين مثل الحج، والتي تمثل تجربة فريدة عاشها نبي الله إبراهيم عليه السلام مع زوجته هاجر وإبنه إسماعيل من بناء الكعبة المشرّفة، إلى المسعى بين الصفا والمروة، الى مقام إبراهيم الذي خلّده القرآن الكريم بالإسم وقال (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى). ومن الآثار المقدّسة والخالدة ما ورد في الآية الكريمة (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها إسمه ليسبّح له فيها بالغدو والآصال، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله).

ونجد في صحيح البخاري حديثاً يروى عن النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم أنه قال (صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام)، وفي ذلك دلالة على مكانة المسجد النبوي وترميزاً له بين بقية المساجد، بل وتشجيعاً على شدّ الرحال إليه والصلاة فيه.

وفي الرحلة الإعجازية لرسول الإسلام صلى الله عليه وسلم يوم عرج به إلى السماء توقف في محطات عدة منها المدينة المنورة، وطور سيناء، وبيت لحم، وقد صلى فيها جميعاً. ويروي السيوطي في (الخصائص الكبرى): فقال له جبرئيل: يا رسول الله أتعلم أين صليت؟ إنك صليت في طيبة وإليها مهاجرتك، وصليت في طور سيناء حيث كلّم الله موسى تكليماً، وصليت في بيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام.

توارث المسلمون الإهتمام بآثار الرسول صلى الله عليه وسلم في المأكل والملبس والمشرب، حتى أنهم صلّوا في أماكن صلاته واحتفظوا بمتعلقاته

أما بشأن إهتمام المسلمين بآثار المصطفى صلى الله عليه وسلم وزوجاته وأهل بيته وأصحابه الكرام رضوان اللهم عليهم أجمعين فقد اكتسبت طابعاً متميزاً، بحيث بلغ الحال بأصحاب السيرة حد تسجيل دقائق الأمور وتفاصيل حياة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم. فقد خصّص البخاري في صحيحه (الجزء الرابع ص ٨٢) باباً أسماه (باب ما ذكر من درع للنبي صلى الله عليه وسلم وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمه وما استعمل الخلفاء من بعده من ذلك ومن شعره ونعله وآنيته مما يتبرك أصحابه وغيرهم بعد وفاته). وسار على ذلك مسلم والترمذي والماوردي وغيرهم، وهو أمر جبل عليه المسلمون حتى في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويورد هؤلاء روايات كثيرة بهذا الصدد. وقد توارث المسلمون الإهتمام بآثار الرسول صلى الله عليه وسلم في

المأكل والملبس والمشرب حتى جمع العلامة السمهودي في كتابه (وفاء الوفاء ـ الجزء الثالث) أسماء الآبار التي شرب أو توضأ أو اغتسل منها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وثبتت تحقيقات المؤرخين حولها، كما كان المسلمون يحتفظون ببعض آثاره عليه السلام، وحتى الأواني والأوعية التي استعملها في حياته كالقدح الذي شرح فيه، فكان الخليفة عمر رضي الله عنه يتبرك بالشرب في قدح النبي صلى الله عليه وسلم وينضح من مائه على وجهه، كما كان أنس بن مالك يحتفظ بقدح النبي صلى الله عليه وسلم، وقد بقي حتى رآه البخاري في البصرة فتبرّك بالشرب فيه، حيث ذكر القرطبي في (مختصر البخاري) أنه رأى في بعض النسخ القديمة من صحيح البخاري: قال أبو عبد الله البخاري رأيت هذا القدح في البصرة وشربت منه وكان اشترى من ميراث النصر بن أنس بثمانمائة ألف.

وبلغ الإهتمام باقتفاء المواقع التي نزل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم والأماكن التي حلّ فيها والبقع التي صلى فيها والتبرّك بها وتعظيمها والصلاة فيها، ويعدّون ذلك من الأعمال المستحبة. فقد أورد المالكي في كتابه (شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام) رواية محمد بن عيسى بن خالد بن عوسجه قال: كنت أدعو ليلة الى زاوية دار عقيل بن أبي طالب التي تلى الدار فمر بي جعفر بن محمد فقال لي: أعن أثر وقفت هاهنا؟ قلت: لا، قال: هذا موقف نبي الله صلى الله عليه وسلم بالليل إذا جاء يستغفر لأهل البقيع.

وعن موسى بن عقبة قال: رأيت سالم بن عبد الله بن عمر يتحرى أماكن من الطريق فيصلي فيها، ويحدّث أن أباه كان يصلي فيها وأنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في تلك الأمكنة، ويعلق على ذلك إبن حجر الهيثمي في (فتح الباري) بقوله: عرف من صنيع إبن عمر استحباب تتبع آثار النبي صلى الله عليه وسلم والتبرك. وجاء في صحيح مسلم عن عبد الله مولى أسماء رضى الله عنها قالت..هذه جبّة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخرجت إلي جبّة طيالسة كسروانية لها لبنة ديباج و(رأيت) فرجيها مكفوفين بالديباج، فقال: هذه كانت عند عائشة رضى الله عنها حتى قبضت فلمّا قبضت قبضتها، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها يستشفى بها.

وفي (صفوة الصفوة) ورد أن ولداً للفضيل بن الربيع أعطى للإمام أحمد وهو في الحبس ثلاث شعرات فقال: هذا من شعر النبي صلى الله عليه وسلم فأوصى الإمام أحمد عند موته أن يجعل على كلّ عين شعرة وشعرة على لسانة ففعل ذلك به. وهكذا فعل البخاري أيضاً.

وأورد إبن الإثير في ترجمة أنس بن مالك: أنه كان عنده عصيّة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما مات أمر أن تدفن معه، فدفنت بين جنبه وقميصه. وذكر الطبري في الجزء الرابع من (تاريخ الأمم والملوك): (أن معاوية قال في مرضه الذي مات فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كساني قميصاً فرفعته وقلّم أظافره يوماً فأخذت قلامته فجعلتها في قارورة فإذا متّ فألبسوني ذلك القميص وقطّعوا تلك القلامة واسحقوها وذروّها في عيني وفي فيّ فعسى الله أن يرحمني ببركتها).

في المقابل، نجد أن المدرسة السلفية المتشدّدة نهجت مسلكاً مخالفاً لسيرة السلف في تخليد آثار المصطفى صلى الله عليه وسلم، وبلغ



الحال حد رفض الوهابيين كل ما يمت بصلة إلى الإعلاء من شأن نبي الإسلام، فقال إبن سهيم عن ابن عبد الوهاب أنه أحرق كتاب (دلائل الخيرات) لأنه مؤلفه تحدث عن النبي بأنه (سيدنا ومولانا..)، بينما جاء في رثاء إبن بشر لابن عبد الوهاب مشحوناً بعبارات التقديس، وكأنه يتحدث عن نبي من الأنبياء أو رسول من الرسل. ففي كتابه (تاريخ نجد ص ١٨٢) يقول إبن بشر: توفي شيخ الإسلام، مفيد الأنام، قامع المبتدعين، ومشيّد أعلام الدين، ومقر دلائل البراهين، محيي معالم الدين بعد دروسها، ومظهر آيات البراهين بعد أفول أقمارها وشموسها) ويضيف (فهو شيخ الإسلام، والبحر الهمام اليي عم بركة علمه الأنام، فنصر السنة، وعظمت به من الله المنة، بعد أن كان الإسلام غريباً، فقام بهذا الدين ولم يكن في البلاد إلا إسمه، فانتشر في الآفاق وكل أمر أخذ منه حظه وقسمه).

تخليد الآثار التاريخية أصبح تقليداً بشرياً توليه الشعوب إهتماماً كبيراً لما فيه من حفظ كيانها وهويتها وتماسكها والأهم روحها المشتركة

وفيما لا يزال أتباع المذهب السلفي الوهابي متمسّكين بموقف إخراج قبر النبي صلى الله عليه وسلم من مسوّرة مسجده، رغم أن زوجته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها اتخذت غرفة في جوار الحجرة النبوية التي تضم القبر الشريف، وأن دفن الخليفتين الراشدين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما قرب قبره الشريف لدليل آخر على بركة مثوى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد قام الوليد بن عبد الملك بإنشاء البناء حول هذه القبور، حين قام بتوسعة المسجد ولم ينكر عليه علماء المدينة ذلك، كما قام، من قبل، الخليفتان عمر وعثمان رضي الله عنهما بذلك أيضاً، وهكذا في العهود الأموية والعباسية والأشراف. ولما فتح المسلمون بيت المقدس في زمن الخليفة عمر كانت قبور الأنبياء عليهم السلام مبنية ولم يأمر الخليفة بهدمها، ولذلك يقول إبن تيمية في كتابه (الصراط المستقيم): (عندما تمّ فتح القدس كانت لقبور الأنبياء هناك أبنية ولكن أبوابها كانت مغلقة حتى القرن الربع الهجري)، وإغلاقها، إن ثبت، لا يصلح دليلاً على

الحرمة، لأن المسلمين كانوا منتصرين فاتحين، وكان لديهم القدرة على هدمها ولكن لم يفعلوا.

وقد جرت عاده المسلمين على تكريم رسول الله (ص) واهل بيته (ع) ورجال الاسلام وهي عادة منتشرة في كل بقاع العالم الاسلامي ولاسيما في تركيا وايران وباكستان والهند والعراق وبلاد الشام ومن مصر والى المغرب حتى أقر بذلك الصنعاني الوهابي في رسالته (تطهير الاعتقاد من ادران الالحاد):

(هذا أمر عمّ البلاد واجتمعت عليه سكان الأغوار والأنجاد وطبق الأرض شرقاً وغرباً ويمنياً وشاماً وجنوباً وعدناً. بحيث لابلدة من بلاد المسلمين إلا وفيها قبور ومشاهد..بل هذه مساجد المسلمين غالبها لا يخلوا من قبر أو قريب منه او مشهد..) أنظر: الجامع الفريد ـ ص ٥٨٢

ومن نافلة القول، أن تخليد الآثار التاريخية أصبحت تقليداً بشرياً توليه الشعوب إهتماماً كبيراً لما فيه من حفظ كيانها وهويتها وتماسكها. وقد كتب صالح جمال مقالاً بهذا الصدد نشرته صحيفة (الندوة) بتاريخ ١٣٨٧/٥/٢٤هـ تحدّث فيه عن عظمة الآثار الاسلامية فقال: (والذين يزورون الآن بيت شكسبير في بريطانية. ومسكن بيتهوفن في المانية لايزورونها بدافع التعبد والتأليه ولكن بروح التقدير والإعجاب لما قدمه الشاعر الإنجليزي والموسيقي الإلماني لبلادهما وقومها مما يستحق التقدير فأين هذه البيوت التافهة من بيت محمد ودار الأرقم وغار ثور وغار حراء وموقع بيعة الرضوان وصلح الحديبية).

ويقول أيضاً (منذ سنوات قليلة عمدت مصر إلى تسجيل تاريخ (أبو الهول) ومجد الفراعنة وراحت ترسلها أصواتاً تحدّث وتصوّر مفاخر الآباء والأجداد وجاء السواح من كل مكان يستمعون إلى ذلك الكلام الفارغ إذا ما قيس بمجد الإسلام وتاريخ الإسلام ورجال الإسلام في مختلف المجالات).

وهذه الدعوة ليست شاذة بل التزم المسلمون العمل بها قديماً، فلقد زار الرحالة إبن جبير مقبرة البقيع في القرن السادس الهجري، وكتب مشاهداته في هذه الزيارة، فيقول: (إن بقيع الغرقد واقع شرقي المدينة تخرج إليه على باب يعرف بباب البقيع، وأول ما تلقى عن يسارك عند خروجك من الباب المذكور مشهد صفية عمة النبي (ص) وهي أم الزبير بن العوام وأمام هذه التربة قبر مالك بن أنس الامام المدني وعليه قبة صغيرة مختصرة البناء وأمامه قبر السلالة الطاهرة إبراهيم ابن النبي (ص) وعليه قبة بيضاء وعلى اليمين منها تربة إبن لعمر ابن الخطاب إسمه عبدالرحمن الأوسط وهو المعروف بأبي شحمة وهو الذي جلده ابوه الحد فمرض ومات، وبأزائه قبر عقيل بن ابي طالب وقبر عبدالله بن جعفر الطيار وبأزائه روضة فيها ازواج النبي (ص) وبإزائها روضة صغيرة فيها ثلاثة من أولاد النبي (ص) وتليها روضة العباس بن عبدالمطلب والحسن بن علي (ع) وهي قبة مرتفعة في الهواء على مقربة من باب البقيع المذكور، وعن يمين الخارج منه ورأس الحسن (ع) الى رجل العباس وقبراهما مرتفعان عن الأرض متّسعان مغشيان بألواح ملصقة أبدع إلصاق مرصعة بصفائح الصفر، ومكوكبة بمسامير على أبدع صنعة وأجمل منظر، وعلى هذا الشكل قبر إبراهيم إبن النبي (ص) ويلي هذه القبة العباسية بيت نسب لفاطمة بنت رسول الله (ص) ويعرف بيت الحزن ـ الأحزان ـ يقال إنه البيت الذي آوت اليه والتزمت فيه الحزن على موت أبيها المصطفى (ص) وفي آخر البقيع قبر الخليفة عثمان وعليه قبة صغيرة مختصرة وعلى مقربة من مشهد فاطمة بنت أسد أم علي بن ابي طالب).

ويعلّق إبن جبر على ذلك قائلاً (ومشاهد هذا البقيع أكثر من أن تحصى لأنه مدفن الجمهور الأعظم من الصحابة المهاجرين والأنصار، وعلى قبر فاطمة المذكورة ـ فاطمة بنت اسد ـ مكتوب ماضم قبر أحد كفاطمة بنت أسد رضي الله عنها وعن نبيها).

وفي مكة المكرمة، كانت مقبرة المعلا والتي تضم قبور اهل بيت المصطفى صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام رضوان الله عليهم، وكذلك قبور زوجات وقرابات نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم كقبر أم المؤمنين خديجة بنت خويلد (ع)، وقبر آمنة بنت وهب أم رسول الله (ص)، وقبر عمه أبي طالب، وقبر جدّه عبد المطلب.

وفي المدينة المنورة قبر والد النبي صلى الله عليه وسلم، عبدالله، الى جانب مساجد وبيوت عريقة بديعة يفوح من جنباتها عبق الرسالة، منها مساجد بأسماء الصحابة مثل مسجد سلمان في المدينة المنورة، وبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أقام فيه أول ما قدم إلى المدينة، وكذلك البيت الذي ولد فيه صلى الله عليه وسلم، وشعب الهواشم بمكة، وبيت السيده خديجة وبيت فاطمة الزهراء في زقاق الحجر بمكة وبيت الحمزه بن عبدالمطلب عم النبي (ص) وبيت الأرقم وهو البيت الذي كان يجتمع فيه الرسول (ص) مع اصحابه في بداية ظهور الاسلام، وقبور شهداء بدر ومكان العرش الذي نصب للرسول (ص) في مكان موقعة بدر وبيت علي بن أبي طالب الذي ولد فيه إبناه الحسن والحسين رضوان الله عليهم، وسور المدينة المنورة، ومحلة بني هاشم في المدينة ومسجد ثنية الوداع ومسجد نعلة، ومسجد سلمان الفارسي ..ومئات الآثار الاسلامية التي كانت عامرة البناء ومصدر إشعاع لعامة المسلمين الذين كانوا ينظرون إلى هذه الآثار وهي تجسّد حركة الرسالة الإسلامية، وتحفر في ذاكرتهم قصة تلك الصفوة المؤمنة التي قادها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نهض بالأمانة الالهية ونشر رسالة الاسلام في ربوع مكة والمدينة وباقي البقاع، فكان المسلمون على مر التاريخ يستلهمون من هذه الآثار روح الرسالة وقيمها بما كان يدّفق فيهم معاني الكرامة والعزة والإصرار على حفظ ذلك المجد الإسلامي والتاريخ التليد لأبطال الإسلام وقادته.

غياب المعاني الروحية والحضارية لدى الوهابيين دفع بهم إلى هدم الآثار عن سابق إصرار وهو ما لم يقدم عليه أحد من قبل

غير أن غياب هذا المعنى الرفيع عند الوهابيين دفع بهم إلى إعمال آلة الهدم بكل الآثار الاسلامية حتى ساهموا عن جهل أو عن سابق إصرار وعناد في طمس معالم الإسلام وهو مخطط لم يقدم عليه أحد طوال التاريخ الاسلامي.

ففي عام ١٨٠٤م تمكّن آل سعود وبمساندة حلفائهم الوهابيين من الإستيلاء على المدينة المنورة فنهبوا خزائنها لاسيما التي كانت في الحرم النبوي الشريف، ووصف ذلك الجبرتي قائلاً:(إن سعوداً إستولى على المدينة وأخذ تلك الذخائر، ويقال أنه عبى سحاحير من الجواهر المحلاة بالألماس والياقوت العظيمة القدر وفي ذلك أربعة شمعدانات من الزمرد وبدل الشمعة قطعة من الماس مستطيلة تضيء نورها في الظلام، ونحو مائة سيف جرابها ملبّسة بالذهب الخالص، متزل عليها الماس وياقوت ونصابها من الزمرد ونحو ذلك وسلاحها من الحديد

الموصوف، كل سيف منها لاقيمة له، (أي لايقدر بثمن)، وعليها رفعات بإسم الملوك والخلفاء السابقين وغير ذلك). ثم انهال الجيش الوهابي على مقبرة البقيع ومقابر المسلمين الأوائل وبيوت الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل بيته وزوجاته وقراباته والصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين فطمست جميعها وغاب رسمها بعد الغزوة الثانية للوهابيين، على مكة المكرمة والمدينة المنورة يقول محمود شاكر في كتابه (كنت مفتشاً في المملكة العربية السعودية) إنهم هدموا: المنزل الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأساؤوا بعملهم هذا إلى الدين والتاريخ، لأن المنزل الذي ولد فيه الرسول (صلى الله عليه وسلم) ليس ملكاً للمسلمين فحسب..ولكنه ملك للتاريخ)، ثم يقول (كما هدموا الألوف من القبور التاريخية والمساجد الأثرية ولا يمكن حصرها أو تقدير قيمتها الدينية والآثرية).

ويقول المؤرخ بورتون:(كان يوجد في المدينة المنورة ما بين خمسين وخمسة وخمسين مسجداً في بقعة مقدّسة لايعرف معظمها اليوم حتى أهالي المدينة أنفسهم وأغلبها معالم تاريخية وآثار عظيمة تعود إلى صدر الإسلام وتاريخ المسلمين الأوائل).

اما البقيع فقدتحولت الى ارض مستوية تتناثر عليها أحجار غير منتظمة بعد أن مسحها الوهابيون وطمسوا معالمها ويصف المستر تر ما شاهده في زيارته للمدينة عام ١٩٢٥ - بعد احتلال آل سعود لها للمرة الثانية - فيقول (وحينما دخلت إلى البقيع وجدت منظره كأنه منظر بلدة قد خربت عن آخرها..فلم يكن في أنحاء المقبرة كلها مايمكن أن يرى ويشاهد سوى أحجار متبعثرة وأكوام صغيرة من التراب لا حدود لها وقطع من الخشب والشيش مع كتل كثيرة من الحجر والآجر والسمنت المتكسر هنا وهناك ..وقد كان ذلك أشبه بالتكايا المتبعثرة لبلدة أصابها الزلزال فخربها كلها وألقيت بجانب السور الغربي للمقبرة أكواماً كبيرة من ألواح الخشب القديمة والكتل الحجرية وقضبان الحديد. وكانت هذه بعض ما جمع من المواد الإنشائية المبعثرة وكوّم هنا بانتظام. وقد ازيلت الأنقاض من بعض الممرات الضيقة حتى يمكن للزائرين أن يمروا منها ليصلوا إلى مختلف أنحاء المقبرة. وفيما عدا ذلك لم يكن هناك ما يدل على شيء من الإنتظام، فقد كان كل شيء عبارة عن وعورة تتخللها مواد الأبنية المهدّمة وشواهد القبور المبعثرة ولم يحدث هذا بفعل الزمان وعوارض الطبيعة بل صنعته يد الإنسان عن عمد وقصد.

فقد هدمت واختفت عن الأنظار القباب البيضاء التي كانت تدل على قبور آل البيت النبوي وقبر الخليفة الثالث وقبر الامام مالك وغيرهم وأصاب القبور الأخرى نفس المصير، فسحقت وهشمت حتى الأقفاص المصنوعة من المواد الحديدية التي كانت تغطي قبور الفقراء من الناس قد عزلت جانباً وأحرقت).

اما الرحالة السويسري جون لوسي بوكارت والذي أسلم، واتخذ إسم الشيخ عبدالله او ابراهيم فيقول (وتبدوا المقبرة حقيرة جداً ولاتليق بقدسية الشخصيات المدفونة فيها وقد تكون، أقذر وأتعس من أي مقبرة موجودة في المدن الشرقية الأخرى التي تضاهي المدينة في حجمها، فهي تخلو من أي قبر مشيّد تشييداً مناسباً وتنتشر القبور فيها وهي أكوام غير منتظمة من التراب يحدّ كلاً منها عدد من الأحجار الموضوعة فوقها ويعزى تخريب المقبرة الى الوهابيين)، ويخلص إلى القول بأن (الموقع بأجمعه عبارة عن أكوام من التراب المبعثر وحفر عريضة ومزابل).



ويضيف الكاتب المصري المعروف محمد حسنين هيكل مشاهداته فيقول (لم أجد في البقيع بقية لبناء أو قبة على الاجداث، ما حمل بوخارت على أن يسمى هذا المكان (جنة البقيع)..فلولا أنك تعرف أن هذا المكان هو البقيع وأن به رفاتاً خلف أصحابها على التاريخ أعظم الذكر، ولولا أن هذه الحجارة المحيطة بكل قبر غطتها لحسبتها فضاءً مسوّراً لاشيء فيه البتة).

أصيب الرحالة الغربيون بصدمة وهم يرون آثار الإسلام وقد تحوّلت الى مجموعة أحجار مبعثرة، فيما تعرّضت بيوت الرسالة للطمس

هكذا إذن قدّم الوهابيون المتعصّبون صورة الإسلام للزائرين الذين جاءوا الى مهد الرسالة، ليرشفوا من أريج الرعيل الأول الذي نشر أعظم دين في تاريخ البشرية، ليجدوا آثارهم مجرد أطلالاً وركاماً، وكأن من أعمل آلة الهدم فيها ينتمي إلى غير دين المسلمين، ولا يسير على خطى سيرة الموحّدين الذين تركوا لنا إرثاً عظيماً كي يستمد منه اللاحقون روحاً تتجدد كلما غرس من سبق أثراً يدّل على استمرارية النهج القويم، والتزاما بسيرة سيد المرسلين وصحبه المنتجبين.

إن التدمير المتسلسل للآثار الإسلامية والذي يكشف عن نوايا غير نزيهة لدى الحكام السعوديين، لا يمكن تفسيره سوى أنه نهج مخاصم لنبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، وما تحويل المدينتين المقدّستين إلى ساحة تنافس بين الأمراء من أجل الإنقضاض عليهما، بعد أن طمست الآثار التاريخية فيها، وما تبقى منها لا يتعدّى ٥ بالمئة من إجمالي الآثار، سوى نزوع نحو تنفيذ مخطط تدميري واسع، يهدف الى تحويل المسجدين الحرام والنبوي إلى مجرد بنائين بلا روح، تمهيداً إلى القضاء على الإسلام.

اتهامات (الآخر) بالعمالة لأعداء الإسلام

بريدة (التوحيد) تحتضن سفير الإسلام الأميركي!

محمد فلالي

لا يقوم ممثل من السفارات الأجنبية بزيارة منطقة أو مدينة أو يلتقي بفاعلية إجتماعية أو حفلاً ثقافياً أو غيره، إلا وتنطلق الشتائم ولغة التخوين من (حراس الفضيلة) في نجد. ويذكّر أقطاب المركز الديني والسياسي مواطنيهم بأن هذه الزيارات إنما هي أدلّة واضحة على تواطؤ مجموعات سكانية في المنطقة الغربية والشرقية خاصة مع (النصارى) و (اليهود) ضدّ أهل الإسلام (الصحيح!).. وهي دلالة على عدم ولاء تلك المجموعات السكانية التي تمثل (أكثرية) في البلاد لنظام الحكم السعودي القائم.

ونظام الحكم القائم، وجد نفسه عاجزاً عن إيقاف ممثلي البعثات الدبلوماسية في الرياض وجدة والظهران من القيام بجولاتهم وزياراتهم، والتي تضاعفت بعد أحداث ٩/١١، خاصة من الجانب الأميركي والبريطاني، ففضّل مواجهة الطرف الأضعف وهم المواطنون أنفسهم، الذين ـ في كثير من الأحيان ـ يفاجؤهم قنصل أو سفير أو موظف سفارة في مجالسهم المفتوحة، فلا يستطيعون طرده، وغالباً ما يتم التعرّض لسياسات بلاده وغيرها.

أجهزة أمن آل سعود، اعتادت التحقيق مع المواطنين، ومتابعة ما يجري من مناقشات علنيّة، وأحياناً التهديد الصريح بالإعتقال. وكان الأولى بها، إن كانت تعتبر تلك اللقاءات خارجة عن المألوف الدبلوماسي، وهو أمرٌ لا تستطيع السعودية القول به، خاصة لدى سفراء الدول الكبرى، وخاصة أن السفراء السعوديين يقومون بنفس الأفعال في واشنطن ولندن وباريس وبرلين وغيرها.. كان الأولى بها، أن تقول للسفراء والقناصل والموظفين الدبلوماسيين: كفى! فهذا يخرج عن الإطار الدبلوماسي!

لكن الطرف الأضعف هو المواطن، ولكن ليس أية مواطن.

المواطن غير النجدي، هو المتهم في الولاء، وهو المتهم في ديانته، وهو الذي يتآمر مع الأجنبي على حكم آل سعود الذي ما قام إلا بدعم أجنبي غربي بريطاني، وما استمرّ في البقاء إلا بدعم أميركي صريح حتى اليوم.

لماذا يخاف آل سعود من حركة الدبلوماسيين الغربيين وزياراتهم للمناطق والمدن غير النجدية؟

يجدر بنا أن نعود الى أحداث سبتمبر ٢٠٠١م مرة أخرى.

مفاجأة ذلك الحدث انعكست على السعودية. فالغرب الذي يعتقد أن في السعودية (بلد الإعتدال): إسلام معتدل، إسلام حليف ضد الشيوعية، وقبلها ضدّ القومية العربية، وبعدها ضد الراديكالية العربية المعادية لإسرائيل والغرب، وما بينهما معادية للتشيّع.. الغرب هذا، وجد نفسه بحاجة الى عملية إعادة اكتشاف جديدة: إعادة اكتشاف الشعب السعودي؛ وإعادة اكتشاف (الدين السعودي/ الوهابية)، وفوقهما إعادة اكتشاف ما يمكن اقتناصه من فهم جديد للعقلية السعودية الحاكمة، والتنوّع السعودي، وإمكانيات تثميره لصالح السياسة الأميركية بالخصوص، على الأقل لرسم الخطوات القادمة تجاه هذا البلد الذي انطلقت منه (غزوة مانهاتن) البنلادنية.

وسط التهديد بتقسيمها ومعاقبتها، اضطرت الحكومة السعودية لفتح أبوابها وإعادة التعريف (بمذهبها الرسمي المعتدل) و النأي بنفسها عن الفكر القاعدي المصدّر من بريدة والرياض. لهذا جاء التسامح السعودي جبراً للصحافيين بأن يأتوا الى السعودية، وطاف الدبلوماسيون لمعرفة أية نوع من الثقافة يروّج له في هذه المملكة الوهابية التي أنتجت أحداث سبتمبر، وفرّخت قبلها صيصان القاعدة الذين قاموا بالغزوة (المباركة)!.

ولما كانت إدارة بوش، المنطقة عنفاً باتجاه الإنتقام مما حدث تبحث عن ضحية قادتها الى أفغانستان ثم العراق لتحتلهما، فإنها وجدت في السعودية (مركز الشر) ولكنها لمصالح استراتيجية حوّلت ذلك الشر فوصمت به إيران وسوريا وكوريا الشمالية (محور الشر)، واكتفت من السعودية أن تصلح (وهابييها) و (مناهجها الدينية التعليمية) وأن توسع هامش (حرية التعبير الصحافي) وأن تقوم بخطوات بناءة في ميدان (الإصلاح السياسي).. وهي مطالب تتماشى مع خطة دمقرطة المنطقة التي لا حلّ لعنفها ـ من وجهة نظر واشنطن ـ إلا بالديمقراطية. لكن تلك الإدارة سرعان ما تراجعت عن سياستها تجاه حلفائها في مصر والسعودية، ووجهت سهامها الى حزب الله وسوريا وحماس وإيران، خالطة بذلك الأوراق.

في تلك الفترة، زار السعودية آلاف الكتاب والصحافيين ورجال المخابرات وأعضاء الكونغرس. وانشغلت أقسام السفارات ورجالاتها بالتفتيش عما وراء الإعتدال السعودي السياسي، فكان الدبلوماسيون يطوفون بالمجالس والديوانيات، ويجتمعون علناً مع الفئات الإجتماعية، ويدخلون المجالس من نوافذها بدون استئذان، والحكومة صامتة لا تستطيع أن تقول كلمة: كفى. وكيف لها أن تقول ذلك وهي المهددة بالإنتقام، وربما التقسيم حتّى؟!

السفير الأميركي في الغاط

ومع أن الدبلوماسيين الأميركيين بالخصوص لم يقتصروا في جولاتهم على فئة أو منطقة أو مدينة، إلا أن (حكم الأقليّة النجدي) توجّس من تلك اللقاءات التي تجري في الحجاز والمنطقة الشرقية حيث يوجد الشيعة. فهل هناك

مؤامرة يراد طبخها لتقسيم المملكة؟ أم هي مجرد لقاءات تستشف ما يجري في مملكة الصمت والغموض؟ وهل هناك شيء لا يعرفه الأميركيون، أو مستجد يريدون معرفته عبر الإتصال المباشر بالجمهور؟ هل كانت المعلومات والتقديرات التي تأتي ـ رسمياً ـ من المخابرات السعودية مضللة عن الوضع المحلي السعودي، فأنتج كارثة سبتمبر؟

المتنطعون الوهابيون وجدوا في نشاط البعثات الدبلوماسية ـ كما العائلة المالكة ـ خطراً قد يتهدد مصالحهم الفئوية. وطفقوا يشتمون ـ لا السفراء والقناصل ـ وإنما أولئك الذين التقوا بهم جمعاً أو فرادى، أو سمحوا لهم بدخول منتدياتهم ولم يقوموا بطردهم. بدا للوهابية ولآل سعود أن هناك احتمال إضعاف القبضة النجدية على السلطة، سواء من خلال الدعوات التي كانت تنطلق من أجل الإصلاح، أو من خلال محاولات مراجعة استباقية للمناهج الوهابية التي اتهمت في الصحافة بأنها فرّخت العنف والإرهاب والقاعدة، أو من خلال محاولات الضغط الأميركي على العائلة المالكة لفك ارتباطها بتوأمها الوهابي.

بيد أن حركة الدبلوماسيين تلك لم تصل الى عمق نجد، الى حيث (عش الوهابية) في بريدة، وإن كانوا التقوا حتى بمشايخ وهابيين في الرياض، فضلاً عن ليبراليين وموظفين حكوميين، اتهم بعضهم بأنه عميل للسفارات الأجنبية، وكأن هناك عمالة توازي عمالة آل سعود أنفسهم للغرب الأميركي والبريطاني.

لكن ما خفف الوطأة شيئاً فشيئاً لدى رجال الحكم السعودي واشعرهم ببعض القوة، غوص الأميركيين في المستنقع العراقي، وهو مستنقع ساهم في ترتيبه الوهابيون وآل سعود، عبر دعم الحرب الطائفية والتفجيرات ومد العنف بزخم من المال والرجال المنطلقين من بلاد التوحيد (نجد). هنا تقلصت دعوات الإصلاح الى أن وصلت الى نهايتها، وتقلصت الضغوط الأميركية حتى صار وجود النظام السعودي جزءاً أساسياً من الإستراتيجية الأميركية، خشيت معه من سقوطه، واستطاع آل سعود ترقيع العلاقات التي هزّتها أحداث سبتمبر بالمزيد من التنازلات السياسية (مبادرة عبدالله العربية!) والتنازلات الأقتصادية في مجال النفط وتخزين الأرصدة في ديار العم سام.

اليوم وبعد أن وضع دعاة الإصلاح خلف القضبان، وكممت الأفواه، وعزز الفساد والنهب، جاء الأميركيون ليزوروا (واحة التوحيد النجدية).. محافظة محافظة، ومدينة مدينة، يلتقون فيها الأهالي، ويستلمون من أعيانها الصور والهدايا التذكارية، ولم يتحدث أيٌ من الوهابيين عن مؤامرة لصالح الصليبيين واليهود كما كانوا يقولون بالأمس عن أكثرية المواطنين.

خلال الشهر الماضي، ظهر وكأن هناك هجمة دبلوماسية قام بها السفير الأميركي في الرياض، فورد فريكر، حين زار المجمعة، وبريدة، وعنيزة، والغاط، وغيرها، وهي معاقل نجدية وهابية. لم تكن الحملة تلك لها نفس الأهداف الماضية، بل جاءت وكأنها مصالحة مع من اعتبروا خزّان القاعدة البشري والمالي. وقد تمت اللقاءات في وضح النهار، وبتغطية من الصحافة والإعلام، وشارك فيها مسؤولون وأعيان، لقي فيها السفير الأميركي المديح والإحترام والشكر والعرفان، وفوقها هدايا تذكارية!

بدأ السفير جولته بزيارة المجمعة، التي يسيطر رجالها ورجال جارتها سدير على مفاصل الحرس الوطني. ثم انتقل الى عنيزة، حيث استقبله محافظها مساعد السليم، وصالح الصويان رئيس مجلس إدارة الغرفة التجارية الصناعية وعدد من المسئولين. فور وصوله أعدّ له حفل خطابي، حيث تم الترحيب بالسفير والوفد المرافق له، فقد سعدت! عنيزة! بلقاء الأميركي كما يقول المحافظ؛ أما عادل الزنيدي، أمين عام الغرفة التجارية، فاستعرض أمام السفير إنجازات آل سعود! فما كان من السفير الا أن عبر عن سعادته وشكره للحضور على حسن الإستقبال وكرم الضيافة، واعتبر زيارته ترجمة لعلاقات الصداقة بين الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة، مبيناً بأنه يعشق مثل هذه الاجتماعات، ومشيراً الى أن الملحق التجاري الأميركي سيطلع على المشاريع في عنيزة في مجال النخيل وانتاج التمور! لينتهي الحفل بإهداء السفير تذكاراً له.



السفير الأميركي في عنيزة

بعدها قام السفير بزيارة الجمعية الخيرية بعنيزة، وقرية الحمدان التراثية، حيث شاهد طريقة عمل القهوة العربية (وكأنه سيطلع على صناعة الصاروخ أو التكنولوجيا الحديثة!).. ثم زار سوق المسوكف وبيت البسام التراثيان وقدم عرض ملابس تقليدية، وفي كل مكان يطل فيه كان يستقبل من المسؤولين المحليين بالترحيب والتكريم. كما قام السفير بحضور حفل غداء أعده له المحافظ، ومرة أخرى أهدي عملاً تذكارياً، وبعد الغداء زار مزرعة الغزيلية للنخيل، ثم منتزهات الغضا، ليعود السفير فيتعشّى بدعوة من الغرفة التجارية في مزرعة رئيس لجنة أهالي عنيزة محمد الصيخان، واحتفي به بالعروض والفنون الشعبية. باختصار قام أهالي عنيزة بما كانوا يقومون به للملك! لأنهم يعلمون أن فوق الملك عبدالله ملك آخر!

ومن عنيزة، بنت عم بريدة!، زار السفير الأميركي الغاط، حيث لم يضيع السفير وقتاً، فصباح اليوم التالي، غادر الى الغاط، وتناول طعام الإفطار مع محافظها عبدالله السديري بمزرعته، ثم زار السفير مركز الرحمانية الثقافي واستقبله هناك المحافظ نفسه! وثلة من آل السديري أصهار آل سعود، ثم ألقيت كلمات ترحيب بالسفير الذي أُهدي عدداً من الكتب والمطبوعات، ولوحة تذكارية. لينطلق السفير بعدها الى بلدة الغاط القديمة، التي يحافظ ال سعود على آثارها، بعكس آثار النبوة والإسلام في الحجاز، ثم توجه الجميع لمنتزه الغاط الوطني، لينتهي يوم السفير بحفل غداء في مزارع الفاخرة لدى أبناء الأمير عبدالرحمن السديري.

بعدها توجه السفير الى بريدة حيث استقبله أمير القصيم الأمير فيصل بن بندر بن عبدالعزيز، بحضور نائبه الأمير فيصل بن مشعل بن سعود بن عبدالعزيز. وهناك شهد السفير فورد فريكر مباراة كرة قدم! كما لبّى وسكرتيرته دعوة عشاء من أسرة المشيقح، وقبلها حضل حفل عشاء أقيم في برج بريدة برعاية الغرفة التجارية. أيضاً، زار السفير المجلس البلدي في بريدة، والتقى برئيسه وأعضائه، وتم اطلاعه على منجزات المجلس، وكأنه ملك غير متوج، وناقش معهم هموم العمل البلدي! ثم ـ كما يفعل آل سعود ـ أشاد بجهودهم، والى تطوير العلاقات السعودية الأميركية، وشكر حكومة (خادم الحرمين الشريفين) على جهودها، كشهادة منه على نجاحها فيما تقوم به!.

الخلاصة.. لو أن أية منطقة قامت بما قامت به القصيم، فاستقبلت السفير، وبإذن وموافقة من آل سعود، فإنها وشعبها سيتهمون بالولاء لأعداء الإسلام من نصارى ويهود!، ولكن لا أحد يتهم الفئة المدللة ديناً ودنياً بأنها تعمل خلاف مصالحها وخلاف مصالح آل سعود. لهذا لم نسمع نقداً او اتهاماً من قبل وهابيي آل سعود، بل أعادونا الى مربع (المصلحة العامة) والفوائد التي يجنيها الشعب من العلاقات مع أميركا.

شكراً لكم على التوضيح!، فقد نسينا أقوالكم بأن هناك مؤامرة تختبيء وراء كل حجر وحبّة رمل تريد أن تتخطفكم!

أكذوبة الإصلاح السعودي انتهت

السعودية: نقد بدون محاسبة لا يكفي

د. مضاوي الرشيد

ألقى العاهل السعودي الملك عبد الله خطابا افتتح فيه الدورة الرابعة لمجلس الشورى السعودي، ركّز فيه على أهمية النقد البنّاء، واعتبر هذا النقد مسؤولية تقع على عاتق المواطن أياً كان موقعه ومركزه ومنصبه. وأقرّ أنه هو بالذات يمارس هذا النقد البنّاء الهادف الى تحسين الاوضاع السياسية ومراجعة الاستراتيجيات والقرارات.

شيء جميل أن يمارس الملك هذا النوع من النقد الذاتي، ولكن لم يعط جلالته أي إشارة أو تنبيه الى مواطن هذا النقد وإمكانيته، هل هو يا ترى يحدث في مجال السياسة الاقتصادية أو التعليمية أو الدفاعية أو الخارجية؟ وشدد جلالته على مفهوم العدل واهميته في صياغة علاقة حميمة بين الحاكم والمحكوم، المسؤول عن ترتيب البيت وسياسته. طعّم الملك خطابه بتجديد مفهوم النقد ومجالاته وربطه بالمفاهيم والثوابت والتقاليد، إذ أن النقد البناء - حسب هذا الخطاب - يجب أن ينطلق من هذه الثوابت ولا يتجاوزها حتى يكون ايجابيا وهادفا.

نسي جلالته ان النقد قد يتحول الى ثرثرة، أو محاولة للفضفضة وافراغ الذات من حالة احتقان قد تضر بها، فالنقد بحد ذاته ليس سيئا، لكنه قد يصبح حالة مستشرية يلجأ اليها المحتقن دون ان تعطي فائدة أو نتيجة ملموسة، الا اذا اقترنت وارتبطت ارتباطا عضويا بمؤسسة تستطيع ان تفعّل النقد وتحوّله الى محاسبة نزيهة، وهذا ما تفتقده السعودية. لا احد ينكر ان المجتمع السعودي يمارس عملية النقد هذه، لانه مجتمع حي يتعايش مع التداعيات السياسية الداخلية والخارجية.

ولكن هذا النقد يواجه معضلتين أساسيتين في الوقت الحالي. أولاهما معضلة مجلس الشورى الذي خاطبه الملك وافتتح دورته الرابعة. حيث يظل هذا المجلس معطلا لانه مجلس معين من قبل الملك وليس منتخبا. فأعضاؤه يمثلون السلطة وليس الشعب، وطالما بقي هذا المجلس هكذا، فسيظل انتقاده لقرارات هذا الوزير أو ذاك ثرثرة من النوع الخفيف، والتي لا تعزل وزيرا أو تحاسب مسؤولا. وان تحول هذا المجلس الى مؤسسة منتخبة، يظل قاصرا ان حددت السلطة صلاحياته، تماما كما يحصل في برلمانات الدول المجاورة.

ثانيتهما، إن عملية النقد البناء تحتاج الى حرية يضمنها القضاء، فلا يسجن من ينطق بكلمة أو يكتب عريضة أو يوقع بيانا. وكل هذا مفقود في السعودية حتى هذه اللحظة. فمن سجن من يعترض على اعتقالات تعسفية، ومن يكتب مدوّنة فيها اشارات - ولو من النوع الخفيف - الى تقصير مسؤول أو تجاوزات حاكم، يجد نفسه في سجن كبير لا يعرف متى يخرج منه. بدون المؤسسة، وبدون الحرية المضمونة من القضاء، لن يتحول النقد الى استراتيجية هادفة تؤدي الى مراجعة السياسات التي تؤثر على حياة المواطن. بل يصبح النقد في هذه الحالة مجازفة قد تفقد الناقد وظيفته أو حريته أو مصدر رزقه، تماما كما هي الحال التي يعاني منها كثيرون من الذين تجرأوا وانتقدوا في السابق ليجدوا أنفسهم متهمين إما بالخيانة للوطن والملك، أو محرضين على الفتنة وخراب الديار، أو متجاوزين الحدود التي رسمها الملك في خطابه. هذه الحدود المبهمة تستحضر التقاليد والدين كستارة ترفع في وجه الناقد، وتستعمل ضده ان هو باح ببعض النقد الخفيف.

اليوم تعطي السلطة السياسية المواطن حق النقد، ولكنه يبقى حقاً ناقصاً مبتوراً، لإنه يحدد مسبقا التابو المتمثل بالملك ذاته وبالاسرة الحاكمة ورموزها الكبيرة، حيث تبقى هذه الرموز فوق النقد العلني. وبما أنها تتربع على الوزارات الثقيلة، والتي من أهمها وزارة الداخلية والدفاع والخارجية، تظل بعيدة عن النقد، وتظل سياساتها محصّنة خلف التابو الممنوع والمحرم. فقد أعطيت الصلاحية للمجتمع وللمجلس ان ينتقد كل ما عدا ذلك الحيّز المقدس، الذي يؤثر على حياة المواطن وأمنه وعلاقته مع العالم الخارجي. قد يسقط وزير تجارة ويستبدل، ويقال وزير صحة أو كهرباء، ولكن الرمز الكبير يبقى محصّناً وممتنعاً عن النقد أو المحاسبة كما هو الملك تماما.



كم تمنينا لو ان الملك ذاته اعلن عن تلك السياسات التي اتخذها هو ذاته ومن ثم انتقدها وراجع تداعياتها. وهنا لا بد لنا ان نغوص في الذات الملكية حتى نستشرف أماكن النقد التي تطرق لها. ورغم ان الملك عبد الله لم ينه سنته الثالثة في الحكم، الا انه كان يدير دفته منذ منتصف التسعينات بعد تدهور الحالة الصحية للملك فهد. لقد وعد الملك رعيته

سابقا بمحاربة الفقر، وتقليص صلاحيات الأسرة الحاكمة، كما وعدهم باصلاحات طويلة تطال مجالات مختلفة. تبنى الملك مقولة الاصلاح وحشد لها طيفا كبيراً من النخب، وأسس لها مؤسسة تدعى الحوار الوطني والتي اجتمعت اطيافها وتحاورت، ومن ثم انتهي الحوار الذي لم يؤد الى نتيجة ملموسة أو تغيير جذري في آلية الحكم والتعامل مع الاطياف المتنوعة في المجتمع السعودي.

صمت الحوار الوطني، كما صمتت الأصوات الإجتماعية المطالبة بالاصلاح، لأن بعضها سجن أو فقد الأمل في التغيير المطلوب. عندما تبنى الملك مصطلح (الاصلاح) كان بذلك يناجي المجتمع، ويطلب مساندته لتثبيت دعائم حكم الأسرة في مرحلة حرجة، عندما واجهت هذه الاسرة خطر (الفئة الضالة) التي وصفها الملك في خطابه الموجه الى مجلس الشورى. لوّح الملك عند توليه العرش بجزرة الاصلاح، فتدلت تلك الجزرة من أفواه كثيرة، لتواجه عصا العنف الذي ترافق مع تتويج الملك على العرش السعودي.

وبعد أن فتح النظام باب النقد، عرف الجميع ان النقد له هدف واحد وهو مواجهة (الفئة الضالة)، وليس الفوز باصلاحات جذرية. فانخرطت أطياف كثيرة في مراجعة الذات وانتقاد التطرف والمروجين له، ولكنها لم تجرؤ على ان تربط بين ظهور (الفئة الضالة) وبين سياسة الدولة. وبقيت هذه الاخيرة التابو المحرم الممتنع عن المساءلة أو المحاسبة، واختار الجميع ان يرى هذه (الفئة الضالة) وكأنها هبطت على البلاد كصحن طائر جاء من الفضاء الخارجي.

كذبة الاصلاح التي روج لها الكثير، انكشفت وبصورة سريعة عندما تمكنت الدولة من القضاء على (الفئة الضالة) وحشرها في السجون أو الاصلاحيات التي تتعاطى مع فيروس قاتل. فاستعانت الدولة بأطباء الارهاب من عالم دين الى مختص نفسي أو اجتماعي. تطبيب (الفئة الضالة) نجح حتى هذه اللحظة بتعافي ٧٠٠ شخص - حسب تقارير الوزارة المكلفة بعملية العلاج - واخرج هؤلاء من الاصلاحيات ليختلطوا بالعالم الخارجي بعد التيقن ان عدوى الفيروس لن تنتقل الى من يختلطون بهم.

عندما تبنى الملك مفهوم الاصلاح واستدعى النخب لتنخرط في الترويج له، ولكن بعد أن اغلق الباب على بعض هذه النخب، أيقن الجميع ان ثرثرة الاصلاح كانت استراتيجية مدروسة هدفها تجييش المجتمع في حرب السلطة مع (فئتها الضالة)، وليس حشد النخب في عملية شحن ذهنية تقود المجتمع السعودي لتدعيم دولة مؤسسات، ومشاركة سياسية، فعالة ولو على طريقة دول الجوار الخليجية. انتهت أكذوبة الاصلاح مع القضاء على فيروس (الفئة الضالة)، ولم يبق الا مساجين الرأي، والذين حتى هذه اللحظة لم تتم محاكمتهم والبت بقضاياهم، وانضم اليهم آخرون من المدونين والناشطين. آخرهم عبد الله الحامد الذي دخل الى السجن ربما للمرة السادسة بتهمة تحريض نساء المسجونين على التظاهر.

تبين هذه الاحداث زيف الخطاب السلطوي المتسلط الذي يدخل إصلاحيا مسالما الى السجن، بينما يفرج عن الناجي من فيروس الفئة الضالة. ربما ان النظام السعودي يخيفه اعتصام سلمي لنساء يبحثن عن العدالة بحق ازواجهن، ولا يخيفه الفيروس القاتل المرتبط بالفئة الضالة، ان استعملنا مصطلحات الملك في خطابه الى مجلس الشورى.

عن: القدس العربي، ١٨/٣/٢٠٠٨

التكفير

محمد بن عبداللطيف آل الشيخ

ليس كل مَن تعلّم وأخذ أعلى الدرجات الأكاديمية في الشريعة قادراً على قراءة المآلات، وتقدير ما تؤول إليه أحكامه وآراؤه من نتائج على الأرض. العلم (فقط) لا يكفي إذا لم يلازمه كجزء لا يتجزأ منه عقل راجح ورؤية ثاقبة وتؤدة و(حكمة) يستطيع المتخصص من خلالها أن يقرأ الواقع قراءة متأنية، ويستشرف المستقبل، ويتخذ بعد ذلك، وعلى ضوء هذه المعطيات، الحكم أو الفتوى.

التكفير – مثلا – قضية في غاية الخطورة، يجب على مَن يتصدى للفتوى أن يحاول قدر الإمكان تفاديها؛ فتكفير شخص بعينه قد يترتب عليه فتن وسفك دماء لا يعلم مآلاتها إلا الله سبحانه وتعالى. ولعل ما نعانيه اليوم من (إرهاب)، وفتن، ومشاكل تكاد أن تهز أمننا واستقرارنا سببها ومنطلقها وباعثها تساهلنا في قضايا (التكفير). وأنا هنا لا ألغي التكفير بالكلية، ولا أدعو إلى تمييع الإسلام، ولا أقول بإلغاء الحد الفاصل بين الإسلام وبين الكفر، إنما يجب أن ندرأ التكفير عن المسلم قدر الإمكان، ونحسن الظن، وندفع بالتي هي أحسن، ولا (نتعجل) في الحكم على المعين بالردة والخروج عن الملة، خاصة أننا نمر في زمن ذقنا فيه ويلات (تعجلنا) في تكفير مَن نختلف معه، حتى أصبح أبناؤنا يُكفّر بعضهم بعضاً، بل ولا يتورع بعض متطرفيهم عن تكفير الحكام والعلماء، والأمثلة على ذلك ماثلة للعيان، وفي سجوننا من هذه العينات الكثير.

وسلاح التكفير في مواجهة مَن تختلف معه سلاح مثلما هو في يدك اليوم قد يكون في يد عدوك غداً، ومثلما في مقدورك (الآن) أن تخيفَ به مَن يخالفك الرأي، قد يُزايد به عليك آخرون في المستقبل، ويرتد عليك، وتقع في نفس الفخ الذي نصبته لغيرك، ولعل شيخ التكفيريين، وشيطانهم الأكبر (أبو محمد المقدسي) الفلسطيني المشهور، هو أدق مثال لما أريد أن أقول في هذه العجالة، فقد كفّر الدولة السعودية وكفّر ابن باز وابن عثيمين رحمهما الله، بعد أن انتقى من النصوص، وساق من أقوال العلماء، ما ينسجم مع أهدافه، وما يحقق غاياته الثورية.

والتكفير مثل القنبلة الموقوتة، والمختل جهاز توقيتها، فلا تدري متى ستنفجر، وفي مَن ستنفجر، وإلى أين ستتجه شظاياها، وكلما كان الإنسان المسلم أقرب إلى التكفير وإخراج الناس من الملة دون أن يستنفد وسائل النصح واللين والكلام الطيب، كان أقرب إلى النزق والخفة والطيش والبُعد عن الحكمة والموعظة الحسنة، ومهّد الطريق – قصد أو لم يقصد – لإشعال فتنة الإرهاب من جديد كما يقول تاريخنا القريب.

ولكي لا نعيد التجربة، ونلدغ من ذات الجحر ومن نفس الأفعى مرة أخرى، فإن ترك الباب مشرعاً على مصراعيه، والحبل على غارب المطية للمكفرين، تفريط في غاية الخطورة. لا بد من إيجاد حل، وإيكال قضايا التكفير (حصراً) إلى مَن يدرك ما يترتب على الفتوى من أخطار على البلاد والعباد؛ لأن أي تساهل مع هذه الفئة التي تقفز إلى أحكام التكفير دون تروٍّ وتؤدة، بحجة الذب عن الإسلام، سيعيدنا مع ثقافة الإرهاب والإرهابيين إلى المربع الأول من جديد.

إيلاف، ٢٣/٣/٢٠٠٨

نشأة مكة ارتبطت بوجود الماء

آبار مكة المكرمة التاريخية

عادل غباشي

جاء إبراهيم عليه السلام، بأمر من ربّه، بزوجه هاجر وابنه اسماعيل الطفل الرضيع، ووضعهما عند البيت بمكة، التي كانت خالية من الماء والأنيس. وعندما غاب ابراهيم عن أنظارهما توجّه الى ربّه بالدعاء: (ربّنا إني أسكنتُ من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرّم ربنا ليقيموا الصلواة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلّهم يشكرون). نفد الماء الذي كان مع أم إسماعيل، عندئذ أخرج جبريل بأمر ربه ماء زمزم، وشربت أم اسماعيل وارتوت وأرضعت طفلها، واطمأنت نفسها. وقد لعبت بئر زمزم دورها المرسوم بدقة وعناية في اجتذاب الناس للإستقرار حولها. هذا يظهر أن نشأة مكة المكرمة قد ارتبطت منذ البداية بوجود الماء، الذي كلما توافرت كمياته زاد عدد سكانها والوافدين إليها للحج. ومن ثم توسّعت رقعة العمران فيها، مما استتبع بذل الجهد عبر عصور التاريخ للإهتمام بحفر الآبار وصيانتها ببلد الله الحرام.

أشار عبد الله بن عباس رضي الله عنه الى الجهود الأولى التي بذلها سكان مكة قبل الإسلام لحفر الآبار بقوله: (لما انتشرت قريش بمكة وكثر ساكنها، قلّت عليهم المياه واشتدّت المؤونة في الماء، حفرت بمكة آباراً).

الآبار التي حُفرت قبل الإسلام

بئر كُرّ آدم: قيل أنها تنسب لآدم. وليس هناك نص يعتمد عليه في ذلك. وموقعها بالمفجر في شعب حواء (وهو ما يعرف حالياً بالعزيزية).

بئر رَمّ: حفرها كلاب بن مرة، وكانت مشرباً للناس في الجاهلية؛ ويقال إنها كانت لبني مخزوم، وكان موضعها في أسفل مكة، فيما يعرف اليوم بالمسفلة.

بئر العَجول: كان موضعها في دار أم هانئ بنت أبي طالب بالحزورة عند باب الوداع، وهي البئر التي دفع هاشم بن عبد مناف أخا بني ظويلم بن عمرو النضري فيها فمات. وكان لهذه البئر أهمية كبيرة في سقيا الحجاج منذ قبل الإسلام الى أن تم إضافة أرضها الى المسجد الحرام في التوسعة الثانية للخليفة المهدي سنة ١٦٩هـ/ ٧٨٥م.

بئر جبير بن مطعم: يقال لها أيضاً البئر العليا، وكانت تقع عند الردم الأعلى، ردم عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ويقال: إن قصياً حفرها، فاندثرت، فعمل جبير بن مطعم بن عدي على إعادة حفرها. وربما ينطبق عليها قول الفاكهي: (خُمّاً وهي البئر التي عند الردم).

بئر بَذّر: تشير رواية الى أن هاشم بن عبد مناف هو الذي حفرها، بينما وردت رواية أخرى بصيغة التضعيف حيث يقال إن قصياً حفرها فنثلها أبو لهب، وهي التي تقول فيها بعض بنات عبدالمطلب: نحن حفرنا بذّر، بجانب المستنذر، نسقي الحجيج الأكبر.

بئر سَجْلَة: حفرها هاشم بن عبد مناف، وورد في رواية أخرى أن قصياً هو الذي حفرها وقال:

أنا قصي حفرت سَجْلَة/
تروي الحجيجَ زغلة فزغلة

وكانت تقع بين الصفا والمروة، ووهبها عبدالمطلب الى مطعم بن عدي.

بئر الطَّوِيّ: حفرها عبدشمس بن عبد مناف، وكانت تقع بسوق الليل بقرب مولد النبي صلى الله عليه وسلم.

بئر أم جعلان: كانت لبني عبد شمس، وقد دخل موضعها في توسعة المسجد الحرام.

بئر العَلوق: تنسب لبني عبد شمس، وكان موضعها بأعلى مكة، قريباً من الردم الأعلى الذي بناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

بئر شَفَيّة: تنسب لبني أسد بن عبد العزى، وكان موضعها في الجانب الغربي من المسجد الحرام، وقد ضُمّت الى أرضه.

بئر السنبلة: وتنسب لبني جمح، وتقع في أسفل مكة المكرمة.

بئر أم حَرْدان: لم يرد ذكر من حفرها، وكانت تقع عند ردم بني جمح بأعلى مكة.

بئر رمْرَم: ورد إسمها هكذا عند الأزرقي، و (مرمرم) عند الفاكهي، وهي تنسب لبني سهم، وقد دخلت أرضها في توسعة المسجد الحرام في عهد أبي جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/ ٧٥٣-٧٧٤م).

بئر الغَمْر: وتنسب لبني سهم.

بئر السيرة: ورد اسمها هكذا عند الأزرقي، و (اليُسَيْرة) عند الفاكهي. ورد في رواية أن الذي حفرها هو مرة بن كعب بن لؤي، بينما اشارت رواية أخرى الى أن الذي حفرها هو لؤي بن غالب، وكانت تقع خارج مكة مما يلي عرفة.

بئر الرَّوَا: حفرها مرة بن كعب بن لؤي (جد قصي) وكانت تقع خارج مكة مما يلي عرفة.

بئر ميمون: حفرها ميمون بن الحضرمي، وكانت تقع بطريق منى.

بئر أم أحْراد: حفرها بنو عبد الدار من قريش.

بئر السقيا: حفرها بنو مخزوم.

بئر الثريا: حفرها بنو تيم، وهي بئر عبدالله بن جدعان.

بئر النقع: حفرها بنو عامر بن لؤي.

بئر الأسود: تنسب الى الأسود بن أبي البختري وكانت قريبة جداً من

المسجد الحرام.

بئر حويطب: تنسب الى حويطب بن عبدالعزى، وكانت تقع في بطن وادي مكة بفناء دار حويطب.

بئر خالصة: كانت تقع قريباً مأزمي عرفة.

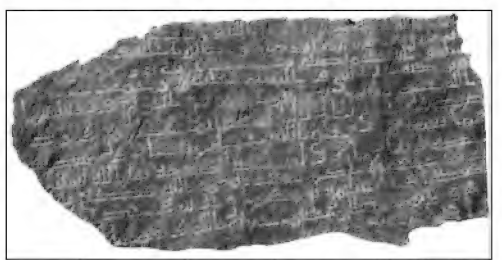
بئر زهير: كانت تقع بأجياد في دار زهير بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي.

عناية المسلمين بالآبار حتى العهد المملوكي

بعد فتح مكة، اهتم الرسول صلى الله عليه وسلم بتوفير المياه فيها، وعلى هذا النهج سار الخلفاء الراشدون، ومن أتى بعدهم من خلفاء وأمراء المسلمين وعامّتهم. حفر ابو بكر الصديق رضي الله عنه في خلافته بئر الياقوتة بمنى. ثم حفر أبو موسى الأشعري بئراً عند الحجون نسبت إليه. وعمّر عبدالله بن الزبير بئر السقيا عند مأزمي عرفات، وبئراً بقيقعان.

أشار الأزرقي والفاكهي الى مجموعة من الآبار الإسلامية منها: شوذب، محرش البرود، بكار، وردان، الصلاصل، عمرو، الشركاء، عكرمة، الطلوب، معاوية بن أبي سفيان، عبدالله بن عامر، المرتقع.

ويظهر أن المياه بمكة المكرمة كانت قليلة سنة ٨٨هـ/ ٧٠٦م، فقد أشار الى ذلك الطبري بقوله: (وحجّ بالناس في هذه السنة عمر بن عبدالعزيز، فلمّا كان بالتنعيم لقيهم نفر من قريش فأخبروه أن مكة قليلة الماء وانهم يخافون على الحاج العطش، وذلك أن المطر قلّ). ونتيجة لشحّ الماء في مكة حفر الوليد بن عبدالملك بئراً بالثنيتين: ثنية الحجون، وثنية طوى، وكان ينقل ماؤها فيوضع في حوض من أدم (جلد) الى جوار زمزم. وينسب لأمير مكة أبي العباس عبدالله في ولايته (١٣٢-١٣٣هـ/



نقش تأسيسي لبئرين حفرهما سليمان بن مهران بنخلة الشامية (الشرائع حالياً) سنة ١٤٨هـ

٧٤٩-٧٥٠م) بناء بئر عليها قبة في التنعيم. وفي النصف الأول من القرن الثاني للهجرة، عمّر سليمان بن مهران بئرين في الشرائع، كما اتضح ذلك من خلال نقش كتابي. وفي أثناء عمل الخليفة المهدي في توسعة المسجد الحرام سنة ١٦٧هـ/ ٧٨٣م، ردمت بئر قصي بن كلاب، وأدخل موضعها في المسجد؛ فحفر عوضاً عنها بئراً بقرب المسجد الحرام. وفي سنة ٢١٧هـ/ ٨٣٢م، أمر أمير مكة جعفر بن محمد بن سليمان بن عبدالله بن علي العباسي بحفر بئر بأجياد الصغير. وعمل بغا الكبير أبو موسى، أحد قادة جيوش خلفاء بني العباس في النصف الأول من القرن الثالث الهجري على إعادة بناء بئر أبي موسى الأشعري بعد اندثارها، وزاد في حفرها حتى أنبط ماءها. وحوالي سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م، حفر الوزير علي بن عيسى بئراً عظيمة في الحناطين، فخرجت عذبة شروباً وسماها الجراحية.

واهتم الخليفة العباسي المقتدر بالله، ووالدته شغب بعمارة بعض آبار مكة المكرمة، فعمرا سنة ٣٠٢هـ/ ٩١٤م بعض آبار الزاهر، إضافة الى ذلك فإنه ينسب للمقتدر حفر بئرين من آبار العسيلة، كما نسب الى والدته حفر بعض الآبار. وفي سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م عمّرت زوجة تقي الدين بن صلاح الدين يوسف بن أيوب بئراً برباط الدمشقية، ثم تبع ذلك ما قام به المظفر صاحب أربل بعمارة بعض الآبار بمكة وعرفة، منها بئر ميمون سنة ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م، وثلاث آبار بعرفة منها بئرات سنة ٦٠٥هـ/ ١٢٠٨م، وبئر سنة ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م. وهذه كشفت عنها أعمال لجنة عين زبيدة بعرفات سنة ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م حيث عثرت على آثار بئر قديمة في جبل الرحمة؛ فرفع العمال الأتربة والحجارة الموجودة فيها، فظهرت آثار ماء. وكانت تلك البئر منقورة بين الصخور، قدر قطرها بسبعة أمتار، وعمقها بثلاثة وعشرين متراً، ووجد بين الأتربة حجر منقوش عليه ما نصّه:

بسم الله الرحمن الرحيم

أدام الله مولانا الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين، أمر الأمير الأصفهسلار الكبير مظفر الدين بن زين الدين، رضي الله عنه، بإبداع هذه البئر في موقف عرفة ومهبط الرحمة، منهلاً لحجاج بين الله الحرام، ومسبلاً محبساً على كافة المسلمين عامة، ابتغاء رضاة الله تعالى وطلباً للثواب، في أيام عدل مولانا الأمير الشريف أمير الحرمين عزالدين أبي عزيز بن إدريس ابن مطاعن الحسني خلد الله ملكه، والمتولي على عمارة البئر العبد الفقير الى الله تعالى عمر بن إبراهيم بن خلكان، غفر الله له وعبدالعزيز بن أبي بكر الأربلي وقمر الدين الحلبي في سنة سبع وستمائة.

وينسب للملك المنصور صاحب اليمن بئر الزاكية جهة التنعيم، ولزوجته بئر أم الحمام التي عمّرتها سنة ٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م. وفي سنة ٧٥٨هـ/ ١٣٥٦م، عمّر الأمير شيخون العمري الناصري، أحد كبار رجال الدولة في مصر بئرين بمكة هما: بئر أدم وبئر النجار المعروفة بـ (بئر المعلم)، التي عمرها بعده الأمير جركتمر المارديني، صاحب الحجاب بالقاهرة، ومقدم العساكر بمكة سنة ٧٦١هـ/ ١٣٥٩م.

ومما ينسب لجهود المسلمين في سبيل توفير المياه لأهل مكة وحجاج بيت الله الحرام، ما قام به الأمير قطلوبك، أحد أمراء مصر، الذي جدد إحدى آبار العسيلة بعد اندثارها سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م؛ وما عمله الشهاب بركوت بن عبدالله المكين الذي عمّر بئراً في الموضع المسمى خرابة قريش؛ وما عمله العفيف الهبي، سفير الملك الأشرف صاحب اليمن، الذي عمّر بئراً قرب باب الشبيكة؛ وما عمله القائد زين الدين شكر، مولى الشريف حسن بن عجلان، الذي عمّر بئراً بأسفل مكة.

وفي سنة ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م، تمّ حفر بئر الى جوار مسجد الخيف بمنى لإيصال مائها الى السبيل المجاور للمسجد. ويصوّر الفاسي في كتاب: (شفاء الغرام) ما آلت اليه آبار مكة في القرن التاسع للهجرة/ الخامس عشر للميلاد، حيث أشار الى أنه لم يعد يعرف في عهده من الآبار الجاهلية والإسلامية التي ذكرها الأزرقي (من علماء القرن الثالث للهجرة/ التاسع الميلادي) إلا القليل. وقدّم الفاسي تعريفه للآبار في عهده كما يلي:

أولاً: الآبار داخل سور مكة

وعددها ٥٨ بئراً وهي: بئر رباط السدرة وهي سجلة؛ بئر رباط الشرابي؛ بئر بالمدرسة الأفضلية؛ بئر بالميضأة الصرغتمشية؛ بئر برباط أم الخليفة وهي العُطيفية؛ بئر برباط القاعية؛ بئر بالمدرسة المنصورية؛ بئر

عند باب الحزورة عليها جميزة كبيرة حفرها المهدي العباسي؛ بئر في الدار المعروفة بالملاعنة؛ بئر بالمدرسة المجاهدية؛ بئر برباط كلالة بالمسعى؛ بئر بالمطهرة الناصرية عند باب بني شيبة؛ بئر بميضأة الملك الأشرف شعبان، عمرها جدّه الملك الناصر سنة ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م؛ بئر الحمام الذي بسوق الليل؛ بئر بقرب مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسوق الليل، تعرف بالسماطية لعلها بئر عبد شمس بن عبد مناف بن قصي المعروفة بالطوى التي ذكرها الأزرقي؛ بئر بقرب البئر السابقة تنسب لأبي مغامس أحد تجار مكه لأنه عمّرها؛ بئر في دار عطية المطيبيز؛ بئران في المعلاة بشعب عامر؛ بئر في البستان الذي عند باب المعلاة، ويقال لها: المنقوس؛ بئر تعرف بأم الفاغية عند سبيل ابن ظهيرة؛ بئر عند مسجد الراية، وهي بئر جبير من مطعم التي ذكرها الأزرقي.

وذكر الفاسي عدة آبار بأجياد منها: بئر برباط الزيت، وبئر برباط غزي، وبئر برباط ربيع، وبئر مما يلي رباط ربيع في جانب الوادي، وبئر أم الزين، عند بيت الشريفة فاطمة بنت ثقبة صاحب مكة، وبئر الوردية، وبئر عكرمة، وبئر الواسعة، وبئر في حوض الرباع، وبئر عفراء، وبئر مسعود (ويقال لها أيضاً أم الفاغية)، وبئر المعلم، وبئر عند بيوت الداجوة يقال لها أم حجر، وبئر برباط بنت التاج، وبئر عند حمام أجياد.

ومما ذكر الفاسي من آبار داخل سور مكة، ما جاء منها بأسفل مكة، منها: بئر برباط الدمشقية، وبئر برباط الدوري، وبئر برباط السبتية، وبئر يقال لها بئر النبي صلى الله عليه وسلم، وربما تكون بئر السنبلة، وبئر خلف بن وهب الجمحي التي ذكرها الأزرقي. وهناك بئران إحداهما عند بيوت عرفطة، يقال لها أم الحمَرة، والأخرى عند البيوت المعروفة بالأشراف ذوي علي، مما يلي باب الماجن، وهما بقرب الموضع الذي يقال له بيت أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ومنها بئر في زقاق ضيق نافذ بقرب أم الحمرة، وبئر في بستان علي بن يوسف بن أبي الأصبع عند باب الماجن، وبئر قبالة هذه البئر في الودنة.

ومما جاء في الآبار التي داخل سور مكة، ما ذكره الفاسي من آبار بمسيل وادي إبراهيم بالمسفلة ومنها: البئر المعروفة بباب إبراهيم، وبئر برباط الموفق، وبئر تنسب للقائد زين الدين شكر، مولى الشريف حسن بن عجلان صاحب مكة، وبئر بجنبها الى أسفل مكة في البيت المنسوب لأحمد بن عبدالله الدوري، الفرّاش بالحرم الشريف، وبئر بقربها في بيت يعرف ببيت الينبعي على يسار الذاهب الى باب الماجن، وبئر في جهة الشبيكة يقال لها بئر النشو، وبئر في الشبيكة أيضاً بقرب المقبرة عند بيوت رقية يقال لها: مجنة، وبئر قرب باب الشبيكة عمرها العفيف الهبي، وبنى عندها سبيلاً هو الآن خراب. وبأسفل مكة بئر أيضاً بالموضع الذي يقال له خرابة قريش التي عمّرها الشهاب بركوت بن عبدالله المكين، وبئر في وسط السويقة، وبئر في الموضع المعروف بـ (دار الحفرة) بالسويقة، وبئر بقعيقعان عند وقف علي بن أبي بكر بن عمر العطار.

فهذه الآبار هي التي حواها سور مكة، ولم يرد ذكر الآبار التي لا ماء فيها، وجميعها مسبلة إلا البئر التي في بيت المطيبيز بأعلى مكة، والبئر التي في بيت القائد زين الدين شكر، والبئر التي في بيت أحمد الدوري، والبئر التي في بيت الينبعي.

ثانياً: الآبار التي بين باب المعلاة ومنى

وعددها ١٧ بئراً هي: بئر قرب باب المعلاة تنسب لأم سليمان المتصوفة، وتنسب أيضاً للملك المسعود صاحب مكة، وبئر الطواشي عند طرف المقبرة من أعلاها، وبئر البستان الذي أنشأه القائد سعد الدين جبروة، وبئر ببستانه الذي أمامه الى جهة منى، وبئر ببستان له بين البساتين الى جهة شعب البياضة، وبئر خلف سبيل ابن شداد، وبئر في بستان ينسب لابن فطيس أمام هذا السبيل، وبئر في محاذاة المعابدة يقال لها أم قرنين، وبئر لا ماء فيها في الموضع الذي يقال له الخرمانية، والبئر التي يقال لها بئر آدم على يمين التي الى منى وليست على جادة الطريق، وممن عمرها الامير شيخون العمري الناصري سنة ٧٥٨هـ/ ١٣٥٦م. ومنها بئر يقال لها البياضية وبئر ميمون بن الحضرمي أخي العلاء ابن الحضرمي بطريق منى، وممن عمّرها المظفر صاحب أربل سنة ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م، وبئر محاذية لبركة السلم على يسار الذاهب الى منى، وبئر النجار، وتعرف ببئر المعلم عبدالرحمن ابن عقبة المكي على يسار الذاهب الى منى أيضاً، وممن عمّرها الأمير شيخون، سنة ٧٥٨هـ/ ١٣٥٦م، وعمرها بعده الأمير جركتمر الماريديني صاحب الحجاب بالقاهرة، ومقدم العساكر بمكة سنة ٧٦١هـ/ ١٣٥٩م. ومنها بئر أمام هذه البئر عند رأس شعب البيعة الذي في مسجد البيعة بمنى. ومنها البئر المعروفة بصلاصل وهي من الآبار الإسلامية، وبئر بقرب هذه البئر يقال لها الجنينة، وهي صلاصل في الجانب الذي يكون على يمين الذاهب الى منى.



بئر طوى بجهة جرول في مكة المكرمة: يظهر في الجانب الأيمن/ تحت من الصورة سطح البناء القائم على البئر، وأمامه مخيم الحجاج المرافقين للمحمل المصري

ثالثاً: آبار منى

وعددها ١٥ بئراً، وهي: بئر الحجامية بقرب جمرة العقبة في بستان عندها، وبئر كدّانة في منزل المحمل المصري، وبئر عَمّارة في الشعب الذي يلي ذلك وهي حلوة، وبئر الكُليبيّة، حلوة أيضاً، وبئر الشّعبانية في بستان القاضي مجد الدين الشيرازي، وبئر إسماعي (ويقال لها دَغبَج)، وبئر في بيت الجعافرة عند بيت أبي مغامس في الطريق السفلي، وبئر قرب شعب سمير، تنسب لموسى بن غصون، وبئر بقربها تنسب لابن فُطيس، وبئر بقربها يقال لها أم النخلة، وتنسب لابن معيوف، وبئر أم الحمام، حلوة، وهي بقرب أم النخلة، عمّرتها زوجة الملك المنصور صاحب اليمن سنة ٦٤٥هـ، ومنها بئر العراقيب، حلوة، في شعب عمرو على يسار الذاهب الى عرفة.

وبمنى آبار أخرى في بعض بيوتها وهي غير معروفة.

رابعاً: آبار مزدلفة

بئر قبالة المشعر الحرام على يمين الذاهب الى عرفة، وأخرى بقربها في الجهة اليمنى يقال لها بئر البقر، وثالثة في الجهة اليسرى محاذية للمشعر الحرام في منزلة الركب العراقي، وفيما بين مزدلفة وعرفة، يقال لها السقيا، على يسار الذاهب الى عرفة.

خامساً: آبار عرفة

بعرفة آبار منها: بئر يقال لها الزيادية الكبرى، وأخرى يقال لها الزيادية الصغرى، وبئر ثالثة يقال لها الشمردقية، وهناك عدة آبار أخرى لا ماء فيها عمّرها المظفر صاحب أربل.

سادساً: آبار ظاهر مكة من أعلاها

وعددها ١٥ بئراً، منها: أربعة آبار تعرف بآبار العسيلة.

سابعاً: آبار مكة بأسفلها جهة التنعيم

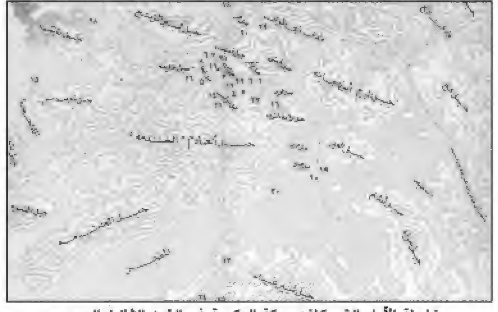
وبها ٢٣ بئراً منها: بئر الملك المنصور صاحب اليمن عند سبيله، وتعرف بالزاكية، ومنها الآبار المعروفة بآبار الزاهر الكبير، وبعض هذه الآبار من عمارة المقتدر العباسي. وبالقرب من الشبيكة آبار أخرى يقال لها (الزاهر الصغير) وهي ثلاث آبار، وبقرب هذه الآبار بئر ببطن ذي طوى ويعرف بـ (ذي طوى). وبأسفل مكة أيضاً بئر يقال لها الطنبداوية. وبأسفل مكة مما يلي بابها المعروف بباب الماجن عدة آبار، منها بئر بقربه من خارجه، وبئر بالشعب الذي يقال له خم (بخاء معجمة).

ظلت مجموعة الآبار التي أنشئت في مكة ومشاعرها المقدسة تؤدي دورها في العصر العثماني، مما ترتب عليه تركيز أغلب جهود العثمانيين في العناية بأمر الآبار على الإصلاح والتجديد وزيادة تعميق الآبار ليكثر ماؤها. ففي عصر السلطان سليمان القانوني عانى أهل مكة الكثير من قلّة مياه الآبار، حيث وصفت حالة مياه الآبار في سنة ٩٢٦هـ/ ١٥١٩م بأنها قليلة جداً، كما وصفت سنة ٩٤٠هـ/ ١٥٣٣م وما بعدها بأن مياه الآبار فيها قد جفت. مما دفع السلطان سليمان القانوني الى توجيه إبراهيم، دفتردار مصر، المعين لعمارة عين عرفة سنة ٩٦٩هـ/ ١٥٦١م أن يكون أول عمل يقوم به بمكة هو تنظيف جميع الآبار التي يستقي منها الناس، وذلك بإخراج ترابها ثم زيادة حفرها ليكثر ماؤها. اضافة الى قيام محمود الخادم المتولي زمام ابنة السلطان سليمان في أثناء حجه عام ٩٦٩هـ/ ١٥٦١م بالتوجه الى الزاهر والشبيكة للكشف عن حالة آبارها ودفع من ماله مبلغاً لإبراهيم دفتردار مصر للإنفاق منه على حفر بئر في طريق المسفلة وبئر في الزاهر وزيادة حفر وتنظيف الآبار النازحة.

وفي سنة ٩٧٨هـ/ ١٥٧٠م حج الوزير سنان باشا، وذهب الى التنعيم جهة مسجد عائشة رضي الله عنها ليحرم للعمرة، فشاهد ما يعانيه المسلمون من قلّة مياه الوضوء في ذلك المكان، وحملهم له من أماكن بعيدة حيث إنهم لم يتمكنوا من الحصول على الماء من البئر القريبة من مسجد عائشة بسبب انهدامها واندثارها، مما حفّز الوزير على إعادة حفرها وبنائها، بغية كسب الأجر والثواب عند الله.

وفي سنة ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م تمّ تعمير آبار مكة المشرفة وحفر مجموعة كبير على يد الوزير محمد باشا الذي ينسب إليه بئر الداوودية. وفي سنة ١١٢٥هـ/ ١٧١٣م أمر السلطان أحمد خان الأول بإنشاء وتجديد عمارة مجموعة كبيرة من الآبار بمكة المكرمة. وفي عهد السلطان مصطفى خان الثالث ١١٧-١١٨٧هـ/ ١٧٥٧-١٧٧٣م تم تعمير وتجديد الآبار الواقعة على الطريق بين مكة والمدينة مما يرجح أن مجموعة الآبار الموجودة حتى عام ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، بالزاهر قد تم حفر بعضها وتجديد بعضها الآخر في الفترة نفسها التي أشار إليها النص، حيث أن الزاهر يعتبر من أحياء مكة وطريقاً يوصلها بالمدينة المنورة.

السلطان محمود خان الثاني ١٢٢٣-١٢٥٥هـ/ ١٨٠٨-١٨٣٩م عمل



خارطة الآبار التي كانت بمكة المكرمة في القرن الثالث الهجري

على إعادة بناء ثلاث آبار لخدمة المعتمرين وسكان بلد الله الحرام: أولاها تعرف ببئر الجعرانة، والثانية تعرف ببئر طوى، والثالثة بئر بقرب السيدة ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم جهة شمال مكة.

وهناك بئر مجاورة لعلمي حدود حرم مكة من الجهة الشمالية الغربية، ترجع في بنائها لسنة ١٢٦٣هـ/ ١٨٤٦م، أشار إليها إبراهيم رفعت بقوله عن العلمين: (ومنهما يبتدئ الحرم من الجهة الغربية، وبجوار العلم الشمالي - بالنسبة للقادم من جدة الى مكة - بئر مبنية بالحجر سمك حائطها ١.١٠م وقطرها أربعة أمتار وعمقها ١٥ متراً وبجوارها مشرب - سبيل - مبني بالحجر بناءً متيناً، ومكتوب عليه أبيات باللغة التركية بخط جميل، وتاريخ بنائه سنة ١٢٦٣هـ).

في سنة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م حفر أمير مكة الشريف عبدالله باشا بئراً بطريق التنعيم بالقب من منطقة الشيخ محمود، كما بنى أيضاً بالقرب منها بئر تنسب لرجل هندي أنشأها سنة ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م.

أدّت مجموعة هذه الآبار دورها في تزويد مكة بالماء الى جانب مياه العيون الواصلة إليها بواسطة القنوات. وكان السكان يعتمدون على الآبار وحدها وقت انقطاع مياه العيون، كما حدث في سنتي ٩٦٠هـ/ ١٥٥٢م، و ٩٦٨هـ/ ١٥٦٠م.

محمد لبيب البتنوني الذي زار مكة سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م تحدث عن دور الآبار في تزويد سكان مكة بالماء في ذلك العصر بقوله: (واهل مكة يشربون من ماء الآبار التي فيها مثل زمزم أو التي في ضواحيها كالزاهر، والعسيلات، والجعرانة، وغيرها أو من الصهاريج التي تملأ من مياه المطر أو ماء الينابيع أو من عين زبيدة).

أما إبراهيم رفعت، فقد أشار الى الدور الكبير الذي قامت به هذه الآبار سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م بعد أن دمّر السيل، الذي وقع في ذلك العام، قنوات مياه العيون، مما جعل الناس يعتمدون كلياً على مياه الآبار.

بين الرياض وباريس

علاقة متجدّدة بأهداف إستراتيجية

هاشم عبد الستار

لا بد أن يثير التواشج بين الرياض وباريس أسئلة كبرى، في ظل عودة لافتة لفرنسا الى معقل الاستعمار البريطاني القديم، وهي عودة غير تقليدية بطبيعة الحال. فالتعاون بين باريس وأبو ظبي بدأ من نقطة بالغة الحساسية، والتي تعبّر، دائماً، عن بلوغ علاقات الدول مرحلة التحالف الإستراتيجي، خصوصاً إذا كانت مصحوبة بصفقات أسلحة فلكية ونوعية، ومناورات عسكرية مشتركة، ووجود مادي لقوات فرنسية على الأراضي الإماراتية. والى جانب قاعدة بحرية في الإمارات، جرت مناورات مشتركة مع البحرين وقطر في مياه الخليج.

بالنسبة للرياض، كانت باريس ورقة المساومة التقليدية في المفاوضات العسكرية مع لندن، خصوصاً حين تبدي الأخيرة تصلّباً بشأن شروط سريّة يفرضها الأمراء قبل إبرام صفقات الأسلحة، كما حدث في مفاوضات شراء طائرات التورنيدو البريطانية التي واجهت صعوبات تفاوضية على خلفية نسبة الرشى المقررة للطرف السعودي، الأمر الذي دفع بالمفاوض العنيد الأمير سلطان للتلويح بخيار طائرات رافال الفرنسية، من أجل تحسين الشروط السعودية في المفاوضات مع البريطانيين، وهي عادة درجت عليها السعودية في مفاوضاتها مع الدول المصدّرة للسلاح.

كان فتح مكتب التحقيق في الغش التجاري الخطير في بريطانيا في ملف الرشى المتعلّقة بصفقة (اليمامة)، قد حسم خيارات الأمراء السعوديين الذين نفّذوا تهديدهم أول مرة بفتح أفق الخيارات التسليحية، وإلغاء الأفضلية البريطانية، ومن ثم تعزيز التعاون الإستراتيجي بين باريس والرياض على حساب لندن.

في عهد الرئيس ساركوزي، بدأت العلاقة بين الرياض وباريس تأخذ وتيرة تصاعدية لافتة، فيما بدا التراجع واضحاً في العلاقة بين لندن والرياض، وكأن ما حذّر منه الأمير بندر بن سلطان رئيس الوزراء البريطاني السابق توني بلير قبل عدة شهور قد نفّذه بطريقة أخرى. بعض المصادر وصفت العلاقة الحميمية بين باريس والرياض بأنها طبيعية في ظل دخول ساركوزي في تحالف إستراتيجي مع واشنطن، واستعداده لتدشين مرحلة دبلوماسية يمينية متصالحة معها.

ولكن، هناك أسئلة أخرى لم تحسم الإجابات عنها، بالرغم من المشتركات الإستراتيجية بين باريس والرياض. فماهي، على سبيل المثال، طبيعة العلاقة الأمنية بين الرياض وباريس؟، وهل ثمة عناصر للقاعدة في فرنسا؟ وهل استبدلت الرياض باريس لندن لتكون محوراً للتعاون والتنسيق الأمني؟ نشير على وجه السرعة، أن فرقة من الكوماندوس الفرنسي ساهمت في إخماد انتفاضة جهيمان في نوفمبر ١٩٧٩، وقامت بقصف منارة الحرم المكي، على خلفية تحصّن بعض أفراد الحركة بداخلها.

هناك بلا شك، قضايا ذات اهتمام مشترك بين الرياض وبارس، وللأخيرة دور في ملفات المنطقة: سوريا، لبنان، الوضع الإقليمي.. وباستثناء العراق، فقد ورثت فرنسا الدور البريطاني في التنسيق مع واشنطن على المستوى الإقليمي، فيما يشير بعض المراقبين الى أن واشنطن تقدّم مكافأة لباريس في مقابل تعاونها في ملفات المنطقة، وخصوصاً لبنان وسوريا، فيما يرى آخرون بأن الرياض تعاقب لندن لأنها لم تنجح في طي ملف فضيحة رشى اليمامة.

يتساءل آخرون: هل باتت باريس أقرب إلى تل أبيب من لندن، وبالتالي فهي أقرب إلى معسكر المعتدلين العرب وبالضرورة إلى واشنطن؟، وهل تحوّلت باريس إلى رأس حربة أميركية وأوروبية في الأزمة مع إيران؟.

فيما يرتبط بالتعاون الأمني بين باريس والرياض، نقلت صحيفة عكاظ السعودية في ٢٤ فبراير الماضي عن وزير الداخلية الأمير نايف قوله بأن الجانبين السعودي والفرنسي إتفقا على العمل بشكل مباشر بين الأجهزة الأمنية في المملكة ومثيلاتها في فرنسا دون أية معوقات أو قنوات أخرى، وقال الأمير نايف بأن ذلك (حتى نستطيع أن نحقق الأمن بالشكل المطلوب ونكسب الوقت). وهذا التصريح جاء عقب توقيع الجانبين إتفاقاً أمنياً في مجالات مكافحة الإرهاب والهجرة غير الشرعية والدفاع المدني. وهي موضوعات تبدو مثيرة وخصوصاً في موضوع (الهجرة غير الشرعية)، ما لم يكن الأمر متعلقاً بمهاجرين سعوديين الى فرنسا بأعداد كبيرة، فيما جرى تخفيض شأن أمر السعوديين العائدين من العراق عبر الحدود.

وزيرة الداخلية الفرنسية ميشيل إليو ماري أضافت ضوءً جديداً على العلاقة بين الرياض وباريس، واعتبرتها إستراتيجية وليست مؤقتة. ووصفت العلاقة بأنها (عريقة وقديمة)، ولا سيما في المجال الأمني. وأكّدت بأن مجالات التعاون بين البلدين تشمل كل المجالات وخاصة التي تتعلق بالأمن الداخلي وكل الأنشطة التي تضطلع بها وزارتا الداخلية في البلدين. ووصفت الإتفاقية الأمنية بين فرنسا والسعودية بأنها إتفاقية إستراتيجية وليست مؤقتة.

مراقبون وصفوا هذه الإتفاقية بأنها مؤشر على مرحلة جديدة، فتحت الباب واسعاً على تعاون شامل. ويبدو أن الرياض نجحت في اللعب



على نظام الجينات الإستعمارية، ضمن معادلة الحلفاء الجدد التي رسمتها المخاصمة مع سوريا وإيران، فيما اختارت باريس أن تكون طرفاً إقليمياً في التجاذب بين السعوديين والسوريين على الساحة اللبنانية، وأن تحصد باريس بعضاً من ثمار التجاذب طالما أن الأثمان المدفوعة ستكون من جيوب الآخرين.

تشعر إدارة ساركوزي بالإرتياح في علاقاتها مع السعودية، طالما أن أفرادها يجنون مالاً وفيراً بقليل من الكلف السياسية، خصوصاً إذا كانت في سياق توجّه عام مكفول قانونياً، ولكن ما لم يحسبه الساركوزيون حتى الآن أن يغفلوا مصير الشيراكيون الذين أفادوا قليلاً من الهبات السعودية والحريرية السياسية، ولكنهم في نهاية المطاف دفعوها من سمعتهم وجيوبهم.

وجوه حجازية

عمر بن حمدان بن عمر المحرسي (١٢٩٢ـ١٣٦٨هـ)

ولد بمحرس بتونس، وعندما بلغ الحادية عشر من عمره رحل مع والده الى المدينة المنورة، وفيها حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ إبراهيم الطرود، ثم أقبل على طلب العلم بالمسجد النبوي الشريف، فحفظ المتون ودراستها على علماء المدينة، منهم: الشيخ فالح بن محمد الظاهري، والسيد أحمد بن إسماعيل البرزنجي، والسيد محمد جعفر الكتاني، والشيخ عبدالباقي الأنصاري، والسيد علي بن ظاهر الوتري المدني. ولازم السيد محمد بن عبد الكبير الكتاني واستفاد منه، كما أخذ الحديث عن السيدة آمنة ابنة عبد الغني المجددي.

ثم سافر لطلب العلم الى مصر، وأخذ عن عبدالرحمن عليش، والشيخ محمد إبراهيم السقا، والشيخ عبدالمعطى السقا، والشيخ محمود خطاب السبكي، وغيرهم كثير. بعدها سافر الى تونس، وأخذ عن شيخ الإسلام أبي حاجب، والشيخ الطيب النفير، والشيخ الطاهر عاشور، والشيخ بيرم الطيب وغيرهم. كما أخذ عن علماء فاس، منهم السيد أحمد بن المأمون البلغيشي المتوفى سنة ١٣٤٨هـ، والسيد عبدالرحمن بن زيدان، والسيد عبدالكبير الكتاني، والسيد عبدالحي الكتاني، وغيرهم.

ثم سافر الى دمشق وتلقى العلم عن علمائها، ثم عاد الى مكة المكرمة، فأخذ العلم عن علماء المسجد الحرام، منهم السيد حسين الحبشي، والشيخ سليمان حسب الله، والشيخ محمد علي المالكي، والسيد عباس المالكي. ثم سافر الى حضرموت، فدرس في مساجدها وأخذ العلم عن علمائها، ثم عاد الى مكة وتصدر للتدريس بالمسجد الحرام، وفي المدرسة الصولتية ومدرسة الفلاح بمكة. وكانت حلقة درسه بالمسجد الحرام في حصوة باب العمرة، واشتهر بالتدريس شتاءً بمكة، وصيفاً بالمدينة المنورة، وتوفى بها رحمة الله(١).

عبدالله بن عبدالرحمن بن ختلان (١٣١٧ـ١٣٩٩هـ)

أحد رجالات الدولة، عمل في حامية المدينة المنورة منذ سنة ١٣٣٥هـ، وانتقل الى مكة المكرمة سنة ١٣٣٧هـ للعمل مع الشريف حسين بن علي، ثم غادر الحجاز الى السودان سنة ١٣٤٣هـ للقيام بأعمال تجارية، وقيل هرباً بعد سيطرة الوهابيين على الحجاز، ثم عاد الى منطقة القنفذة في سنة ١٣٤٦هـ عمل مع الأمير فيصل ـ الملك فيما بعد ـ وقد كان حينها نائباً للملك عبدالعزيز على الحجاز. كما تولى مهاماً عسكرية في الحملة التي قامت بمنطقة جيزان وميدي في اليمن؛ وشارك في إنهاء النزاع مع إمام اليمن آنذاك. تولى إمارة جازان في سنة ١٣٥٥هـ، واستمر حتى عودته الى جدة للعمل في إدارة قائم مقام جدة. وفي سنة ١٣٧٤هـ، عيّن أميناً للعاصمة المقدسة بمكة المكرمة، وشارك في تطويرها، وكذلك الإشراف على عملية التوسعة الأولى للحرم المكي الشريف. أحيل الى التقاعد سنة ١٣٧٩هـ(٢).

أحمد بن زيني دحلان (١٢٣١ـ١٣٠٤هـ)

مفتي الشافعية بمكة، وشيخ العلماء ببلد الله الحرام في عصره. ولد بمكة ونشأ بها وحفظ القرآن الكريم. ثم طلب العلم واشتغل به فحفظ من المتون في سائر الفنون. كما أخذ عن كثير من علماء المسجد الحرام، كمفتي الشافعية بمكة الشيخ محمد سعيد قدس، وشيخ العلماء الشيخ عبدالله سراج الحنفي، والشيخ علي سرور، والسيد أحمد المرزوقي مفتي المالكية بمكة، والشيخ يوسف الصاوي المصري المالكي، والشيخ بشرى الجبرتي. ولازم الشيخ عثمان الدمياطي ملازمة تامة، وأخذ عنه كثيراً من العلوم وبه تخرّج، وتولّى الإفتاء والتدريس بمكة، وتوفي بالمدينة.

له: الفتوحات الإسلامية؛ الجداول المرضية في تاريخ الدولة الإسلامية؛ خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام؛ أسنى المطالب في نجاة أبي طالب؛ تنبيه الغافلين ـ مختصر منهاج العابدين؛ حاشية على متن السمرقندية في الآداب؛ رسالة الإستعارات؛ رسالة إعراب جاء زيد؛ رسالة البينات؛ رسالة في بيان العلم؛ شرح الأجرومية؛ فتح الجواد المنان ـ شرح فيض الرحمن (في العقيدة)؛ الفتح المبين في فضائل الخلفاء الراشدين وأهل البيت الطاهرين؛ الفوائد الزينية في شرح الألفية للسيوطي؛ منهل العطشان على فتح الرحمن في علم القراءات؛ النصر في أحكام صلاة العصر؛ طبقات العلماء(٣).

(١) غازي، عبدالله بن محمد. نثر الدرر في تذييل نظم الدرر، ص ٤٦؛ وعبدالجبار، عمر. سير وتراجم، ص ٢٠٤؛ وأبو سليمان، محمود سعيد، تشنيف الأسماع، ص ٢٤٦؛ وأخيراً، الفاداني، ياسين. فيض المبدي، بإجازة الشيخ معوض منقش الزبيدي، ص ٧٦.

(٢) اسد الله، أحمد علي. مجلة المنهل، العدد ٤١، السنة ٤٦، جمادى الثانية ـ رجب ١٤٠٠هـ، ص ٥٠٤–٥٠٥.

(٣) البغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين، جـ١، ص ١٩١. غازي، عبدالله محمد، نظم الدرر، ص ١٥٩. الكتاني، عبدالحي، فهرس الفهارس، جـ١، ص ٣٩٠. البيطار، عبدالرزاق، حلية البشر، جـ١، ص ١٢٥. خير الدين الزركلي، الأعلام، جـ١، ص ١٢٥. كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، جـ١، ص ٢٢٩.

نقد الملوك!

ثلاثون دقيقة فقط، هي كل الوقت الذي قضاه الملك عبد الله في مجلس الشورى، شاملاً الاستقبال وعزف السلام الملكي، وتلاوة القرآن، وإلقاء كلمة مملة لرئيس مجلس الشورى، أسبغ على ولي النعم فيها كل الفضائل، ثم خاطب الملك الأمّة المسعودة عبر منبر مجلس الشورى، لسبع دقائق من البلاغة.

قبل أيام من الخطاب سال حبر الصحافة، وانهرقت كلمات المحللين والمسؤولين، وهم يبشرون هذه الأمة التي تصطف لأول مرة في تاريخها خلف المخابز ومتاجر الغذاء للحصول على قوت يومها، وبشّرتهم بأن يتسمّروا على رصيف الصبر وهم ينتظرون إطلالة جلالته عبر منبر الشورى.

كانت كلمة الملك عبد الله مختصرة للغاية، وفاجأ الحضور - ومعهم أعضاء المجلس المعينين - بأن هناك كلمة سوف يتم توزيعها عليهم، ولا داعي - إذن - لمخاطبة الأمة بكلام كثير!

قال الملك أنه ينتقد نفسه بقسوة، ولم يقل لنا أين وكيف، وماهي نتيجة هذا النقد؟، ولم يخبره أحد من الأكاديميين والتكنوقراط الذين ينتفخ بهم مجلس الشورى، ولا أولئك الذين تلقوا تعليمهم في الولايات المتحدة الأميركية أو أوروبا (العظمى!)، وبعضهم لم يعرف من أميركا سوى (حفّ) الشوارب، لم يخبروه - حفظه الله - أن النقد في البلدان الحديثة، ليس من إختصاص ولي الأمر، وليس موجهاً للذات.. إنه مسؤولية حصريّة لنواب الأمّة الذين أوكلت لهم مسؤوليتهم أن ينتقدوا أداء الحاكم ويحاسبوه.. ماذا يعني ان ينتقد رئيس السلطة التنفيذية، والذي يمسك بيده كل السلطات، أن ينتقد نفسه؟ أو يقسو على ذاته؟ هذا فعل الأفراد الأتقياء، وليس المسؤولين الذين ينبغي أن ينتصبوا واقفين أمام شعبهم عبر نوابه لكي يجيبوا على التساؤلات الملحة.

الغريب أن الملك كان استقبل خلال شهرين معظم زعماء العالم الحرّ!!، من الرئيس بوش، وساركوزي، والتقى رئيس الوزراء البريطاني، والايطالي، والمستشارة الألمانية، وحصل على زخم هائل من المدح والتقريض، ومع ذلك فهو يصرّ على أنه هو فقط يحاسب نفسه!

هل كان الملك عبد الله مصاباً بتأنيب الضمير، جعله يواسي شعبه الذي لم يشهد الجوع إلا في عهده الميمون، رغم وصول أسعار النفط الى ما فوق المائة وعشرة دولارات، دفعه ذلك لأن يقول أنه يقسو على نفسه، وهذا يكفي؟!

هل كان يشعر بالخيبة من كل مشاريع الترقيع الحكومية التي لم تفعل شيئاً سوى تدمير وتفتيت الطبقة الوسطى في البلاد؟

هل كان الملك الذي بدأ عهده بأكبر ميزانية في تاريخ بلاده، يشعر بالمرارة بأن تلك الأموال لم تكن سوى بالون هواء، أو ماء قراح يغلي على القدر، لا يحتوي لحماً ولا رزاً، وليس بجواره الخبز؟ فلم يقبض المواطن من الريح سوى الجوع، واستلاب مدخراته، وانخفاض قدرته الشرائية وتدهور مستواه الاقتصادي.

هل يمكن أن يتحول ذلك النقد الملكي القاسي على الذات رصيداً في حسابات أفلستها مغامرات أساطين الأسهم وتجار أقوات الشعب؟ أم أن النقد الذاتي ليس سوى محاولة لاستيعاب القهر الاجتماعي المتنامي في هذه البلاد؟

بعيداً عن النيات، فإن النقد الذاتي لا يكفي! واستغفال الناس الجائعين المقهورين القلقين على مستقبلهم وقوت أطفالهم، لا يكفي معه كلمات لا تحوي أي التزام أو تعهد بإصلاح، كلمات الزعماء في مجلس النواب أو البرلمان أو الشورى هي رؤية إستراتيجية للحاضر والمستقبل، وهذا ما لم نلمسه في الكلمة الملكية.

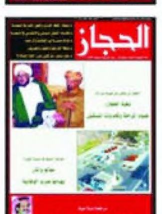
لقد بشّرنا الملك عبد الله بأنه يقسو على نفسه، فليعذرنا ويتقبل منّا شيئاً إضافياً من تلك القسوة!



- الحجاز السياسي
- الصحافة السعودية
- قضايا الحجاز
- الرأي العام
- إستراحة
- أخبار

- تراث الحجاز
- أدب و شعر
- تاريخ الحجاز
- جغرافيا الحجاز
- أعلام الحجاز
- الحرمان الشريفان
- مساجد الحجاز
- آثار الحجاز
- صور الحجاز
- كتب و مخطوطات







عزاؤنا فيك يا فقيد العلم يا عالم مكة



ما أظن أن سكان أم القرى وما جاورها قد أصابهم فزع وذعر كما أصابهم نبأ فقدان عالم مكة ورمزها وسيد أهلها، السيد الجليل، والعالم الكبير، السيد محمد بن علوي مالكي الحسني، الذي رحل عنا ونحن في أشد الحاجة لوجوده بيننا.



الحجاز لن يتخلّى عن هويته وتراثه

نخبة الحجاز: هموم المرحلة وتحديات المستقبل



زعيم الحجاز الديني: تشكيل مؤسسة غير وهابية

من نافلة القول التأكيد على أن (الحجاز) وقد سبق له أن كان دولة تتمتع بكل أجهزة الدولة الحديثة هو الأكثر إخافة لحكم النجديين الوهابيين من أن يفلت من بين أيديهم، فيخسروا مكانتهم الدينية، وتبقى دعوتهم المتطرفة في حدود صحرائها، لا تتمتع بغطاء الحرمين الشريفين وإدارتهما، واللذان من خلالهما يتم فرض المذهب الوهابي وتضليل العالم الإسلامي، بل ومن تحت ذلك الغطاء تتم ممارسة أبشع وسائل التدمير لتراث الحجاز وتراث المسلمين.

وإذا كانت أموال النفط قد أمدّت الحكم السعودية ودعوته الدينية المتطرّفة بزخم غير عادي لم يتأتّى لأي دعوة أخرى في العهد الحديث، فإن النفط نفسه ليس مضموناً الى الأبد مادامت سياسات النجديين النقيضة لكل ما هو وطني ولكل ما هو عدالة ومساواة، قائمة ومستمرة.. فالنفط ومنطقته قد تذهبان أيضاً، بالرغم من الشعور المغالي فيه بالقوة الذي يبديه متطرفو الوهابية وآل سعود على حدّ سواء، والذي يظهر وكأن الدنيا والعالم قد توقف عندهم وغير قابل للزوال.

(الدين والملك توأمان)

التحالف المصيري بين الوهابية والعائلة المالكة

كان العامل الديني القوة التوحيدية الفريدة الذي نجح في تشكيل وحدة اجتماعية وسياسية منسجمة في منطقة نجد. فقبل ظهور الدعوة الوهابية

القبّة الخضراء قضيّة وبلا هلال!

التطرّف الوهابي لا حدود له.

إنه مرضٌ حقيقي مختزن في صاحبه، قد يوجهه الى الآخر المختلف في الوجهة الدينية او المناطقية، لكنه لا يلغي حقيقة أن المريض بالتطرّف لا يخرب بيت الآخر بل ينتهي بتخريب بيته. لقد بدأ التطرف في المملكة ضد المواطنين الآخرين غير الوهابيين، فساموهم العسف والظلم وهدر الحقوق والكرامة، وكانت الحكومة تؤيد ذلك وتشرعن الفعل الطائفي المتطرف،

معالم وآثار يهدمها الوهابيون

المساجد السبعة.. قيمة لها تاريخ

مسجد سلمان الفارسي

من المعالم التي يزورها القادمون إلى المدينة المساجد السبعة، وهي مجموعة مساجد صغيرة عددها الحقيقي ستة وليس سبعة، ولكنها اشتهرت بهذا الاسم، ويرى بعضهم أن مسجد القبلتين يضاف إليها؛ لأن من يزورها يزور ذلك المسجد أيضاً في نفس الرحلة فيصبح عددها سبعة.

وهناك روايات حديثية لابن شبة تحدث فيها عن مسجد الفتح وعن عدة مساجد حوله. وقد روى عبدالله بن عمر رضي الله عنهما (أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في تلك المساجد كلها

My Computer

الحجازعلى الانترنت http://www.alhejazi.net



أزياء حجازية